الإسلام دين الرحمة والعزة

دراسة لحقيقة الإسلام ، والإرهاب الديني

بقلم :

أ.د. علي محي الدين القره داغي

أســـــتاذ ورئيس قسم الفقه والأصول بجامعة قطر
والخبير بمجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة ، وجدة
وعضو المجلـــس الأوربي للإفتـــــــــــــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين

وبعد

فإن الأديان السماوية الصحيحة كلها لم تنزل إلاّ رحمة للعالمين ، وعزة وكرامة للناس أجمعين ، وهداية للإنسانية وإصلاحاً لكل جوانب الحياة الفكرية والعقدية والسياسية والاجتماعية ، وتزكية للنفس البشرية ، وتهذيباً لها حتى تستطيع من خلال زاد الروح والإيمان والعقيدة أن تشق طريقها فلا تضل ولا تشقى ، ولا تكد ، تضحى ، وموعظة للقلب ليكون رقيقاً حنيناً فلا يرين بسبب الذنوب والعصيان ، ولا يقسو ويغلظ بسبب الظلم والطغيان .

وقد أولى الإسلام عناية خاصة بالإنسان كله فكرمه ، وفضله على سائر المخلوقات فقال تعالى : (ولقد كرمن بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[1] وحمى حريته وكرامته فلم يسمح بأن يمارس ضد حريته أي إكراه حتى ولو كان يتعلق بالدين الحق فقال تعالى : (لا إكراه في الدين)[2] ، وقال تعالى : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[3] .

وقد وسع الإسلام دائرة الرحمة لتشمل الكون كله حيث أوجب أن تكون الرحمة شاملة للإنسان والحيوان ، والبيئة ، فقال تعالى : (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين)[4] وحرّم الظلم مطلقاً وتخويف الأبرياء وترويع الآمنين .

ولأهمية الرحمة في الإسلام اشتقت منها صفتان واسمان لله تعالى (الرحمن الرحيم) إضافة إلى (الرؤوف) كما وصف الرسول أيضاً (رؤوف رحيم) ويبدأ المسلم كل أعماله ببسم الله الرحمن الرحيم ، حتى لا ينسى الرحمة ، فلا يكون قاسياً ولا شقياً ، وأن تحيته في الدنيا والآخرة (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) أي الأمن والأمان لكل من يسمع ، لأني مسلم مسالم .

والإسلام هو الدين الخاتم المكمل المصدق لبقية الأديان السابقة يريد للإنسان أن يجمع سعادتي الدنيا والآخرة ، وبين أمن النفس ، وأمان البدن ، وبين سلام الفرد وسلام المجتمع ، ولذلك اختير لهذا الدين اسم (الإسلام) من السلم والسلام ، واسم (الإيمان) من الأمن والأمان .

([1]) سورة الإسراء / الآية (70)
([2]) سورة البقرة / الآية (256)
([3]) سورة الكهف / الآية (29)
([4]) سورة الأنبياء / الآية (107)

ونحن في هذه الدراسة نتحدث عن حقيقة الإسلام ومعالم رحمته وجماله الجواني وحضاراته في الفصل الأول ، كما نتحدث في الفصل الثاني عن الإرهاب والترويع في جميع الأديان السائدة ، وفي الإسلام ، والتطبيقات المعاصرة في ظل هذه الأديان حتى تكون الصورة واضحة لكل من يريد أن يدرس دين الإسلام ، فيعرف حقيقته ويتعرف على ماهيته ، ويفقه أحكامه ونصوصه .

وإنني أرجو بهذه الدراسة المتواضعة قد قدمت شيئاً نافعاً للقراء الكرام سائلاً الله تعالى ان يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم ، وأن يعصمني من الخطأ والزلل في العقيدة والقول والعمل ، إنه مولاي فنعم المولى ونعم النصير .

كتبه الفقير إلى ربه

علي محي الدين القره داغي

الدوحة ـ غرة ذي الحجة 1422هـ

ما هو الإسلام ؟

ربما يكون السؤال غريباً لدينا نحن المسلمين ، ولكنه سؤال وجيه في الغرب ولدى الغربيين ، وذلك لما ذكره الفيلسوف الفرنسي جارودي من أن الحروب الصليبية خلفت صورة مشوهة مبغضة للإسلام ، وجسّدها الاستشراق ورجال الكنيسة، بحيث لا يمكن فهمه إلاّ إذا أزيح هذا الغطاء [1].

ولما ذكرته عميدة الاستشراق الدكتورة أناماري : من أن الجهل بالشيء يورث الكراهية والبغضاء والخوف ، ... والإسلام مثل نمطي لتلك التأويلات الظالمة المشوهة ، كما نعهد في لوحات فناني القرن التاسع عشر الغربيين الذين شغفوا بتصوير المسلمين برابرة غير متحضرين محاربين شاهري السيوف ، أو مترفين غارقين في اللهو والنساء ، وكما نعهد اليوم إذ تقفز إلى الأذهان عند ذكر الإسلام صورة إرهابي وقح منحط لا وازع له ...لكننا ينبغي أن نتلمس العذر لمسيحي القرون الوسطى الذين ظنوا أن الإسلام زندقة وارتداد ، وأن محمداً لم يكن سوى كاردينال كاثوليكي خرج على البابا .. ذلك التصور تشويه وإجحاف للإسلام [2].

أو لما ذكره الأستاذ علي عزت بيجوفيتش من أن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته لسببين اثنين هما :

طبيعة العقل الغربي : (أحادي النظرة أي إمّا الدين ، أو الدنيا) في حين أن الإسلام وحدة ثنائية القطب ، وقصور اللغات الأوربية عن استيعاب المصطلحات الإسلامية بمفاهيمها الحقيقية ، وذلك لأن الإسلام باعتباره الدين الشامل الكامل المنـــزل على محمد ، يختلف عن الأديان السائدة التي وصلت إلينا ، فاليهودية تمثل الفكر المادي الدنيوي وتتجه نحو إقامة جنة على الأرض لا في العالم الآخر وأن مملكة الربِّ التي كان اليهود يتنبأون بها قبل ظهور المسيح كان مفروضاً أنها ستحقق على الأرض وليس في السماء كما يؤمن المسيحيون [3].

فالدين اليهودي الحالي منصب على المادية المجردة وعلى الواقع الخارجي ، في حين أن المسيحية لفتت الروح الإنسانية إلى نفسها وإلى القيم الأخلاقية السماوية ، لذلك لاحظت السلطات الكنسية منذ زمن بعيد وجود اختلافات جوهرية بين روح (العهد القديم) وروح (العهد الجديد) حيث يذهب إنجيل مرقص إلى أن المسيح عيسى قد ألغى قانون موسى ، واستبدل (يهوى) ــ إله العدالة ومنقذ العالم المادي ــ بإله الحب الذي خلق عالم الغيب اللامرئي ، فكان شعار المسيحية الفصل بين الجانبين (دعْ ما لله لله وما لقيصر لقيصر) بل وخيرت الإنسان بين أحد الأمرين حيث نص إنجيل متّى (Matt hew 6:4) على أنه : (فلا يستطيع إنسان أن يخدم سيدين ، فهو إما أن يكره أحدهما ويحب الآخر ، أو يتمسك بأحدهما ويستخف بالآخر ، إنك لا تستطيع أن تخدم الله وتخدم مامون)[4] وهذا ما عبر عنه الفيلسوف (تولستوي) حيث يقول : (لا يستطيع إنسان أن يعنى بروحه ، وبمتاع الدنيا في الوقت نفسه)[5].

إضافة إلى بعض القيم المثالية التي من الصعب تطبيقها مثل (إذا ضربك العدّو من خدك الأيمن فأدر له خدّك الأيسر) ومثل (حُبَّ أعداءك وبارك لاعنيك) مما جعل الغربيين إلى توجيه هذه الأخلاقيات إلى

---

(1) روجيه جارودي : لماذا أسلمت / ط.مكتبة القرآن (ص99 ــ 102)

(2) مقدمة د. آناماري : لكتاب الإسلام كبديل لمراد هوفمان ، ط.النور بالكويت (ص9)

(3) الرئيس علي عزت بيجوفيتش : الإسلام بين الشرق والغرب ط. النور الكويتية عام 1994 (ص271 ــ 272) ترجمة الأستاذ محمد يوسف عدس

(4) لفظ (مامون) في الكتابات الانجيلية يشير إلى شيطان الشهوة والمال .

(5) عزت بيجوفيتش : المرجع السابق (ص275)

عالم المثال وعالم الآخر تطبيقاً لقول المسيح في انجيل يوحنّا (**YOHNI 8 : 36**) : (مملكتي ليست في هذا العالم) ولذلك لم تلتــزم الدول المسيحية أبداً عند التطبيق بهذه المبادئ .

ومهما حاول الغربيون أن يلبسوا أنفسهم ثوب العلمانية فلا يستطيعون التجرد عن المغروسات المسيحية والثقافة الدينية المجردة .

لذلك لا يفهمون إلاّ هذا الفصل الذاتي بين الدين والدنيا ، وبين السياسة والعقيدة ، وبين الأخلاق والحكم ، فالإنسان إما متدين مترهب في الكنيسة ، أو غير متدين يهتم بشؤون الدنيا ومصالحه الخاصة ، وإذا وجد فيه تدين فهو أمر ذاتي داخلي بين الإنسان وربه ليس له علاقة بالدنيا والسياسة والمال .

فالأنموذجان السائدان للدين على مرّ آلاف السنيين هما إما الدين المجرد ، أو الدنيا المجردة ، أما الدمج بينهما والتوازن فهذا أمر غير مفهوم لدى الغربيين أو من الصعب فهمه عندهم يحتاج إلى بذل الجهود لشرح المصطلحات الإسلامية بالخطاب الذي يفهمونه .

ولهذه الخلفية الثقافية اعتبر بعض الفلاسفة الغربيين مثل (هيجل) أن الإسلام امتداد لليهودية[1] ، لأنهم نظروا إلى جانب واحد من الإسلام وهو عنايته بتنظيم أمور الدنيا ، ورأى آخرون أنه امتداد للمسيحية ، لأنهم نظروا إلى الجانب الأخلاقي ، والقيم السامية في الإسلام ، وبعضهم اعتبروه ديناً مادياً نفوا عنه الغيبيات ، واعتبره الآخرون حركة اجتماعية سياسية ــ أي اتجاهاً يساريا ــ [2] .

وكل رأي من هذه الآراء نابع من النظرة الأحادية في حين أن الإسلام توحيد خالص لله تعالى في مجال العقيدة ، ووحدة ثنائية القطب فيما عداها ، فهو دين ودنيا ، وعقيدة وشريعة ، وسياسة وأخلاق ، وبناء لسعادة الإنسان ومملكته وجنّه في الدنيا والآخرة ، ومن جانب آخر فهو يجمع بين الثبات والتطور ، وبين الأصالة والمعاصرة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الروحية والمادية ، وبين الفردية والجماعية ، وبين التخيير والجبر للإنسان ....

كل هذه المفاهيم إذا نظرت إليها بنظرة جامعة ثنائية يتبين لك بوضوح كيفية توزيع الأدوار والتوازن بينها ، والتناغم والانسجام بين الأمرين ، وقد جاء الإسلام بهذا الجمع الدقيق في أول آية وأول سورة تنــزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث تأمر بالقراءة ، قراءة كل شيء ، قراءة القرآن : كتاب الله المسطور ، قراءة الكون : كتاب الله المفتوح ، لكن هذه القراءة كانت في السابق باسم الإنسان وقوته فقط ولكنها في رسالة الإسلام لا بدّ أن تكون باسم الرب (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق)[3] حيث يربط هذه القراءة بربّ الإنسان الذي خلقه من نطفة ثم علقة ، ثم يأمره بالقراءة المطلقة مرة أخرى ولكن مع ذكر إكرام الله تعالى للإنسان حيث أعطاه مصادر للمعرفة من خلال القلم الذي يعني جميع مصادر المعرفة المادية من الحواس ، والتجربة والعقل ، وأضاف إليها مصدراً آخر وهو الوحي الإلهي للرسل عليهم السلام .

وتتجسد هذه الفكرة الثنائية منذ بداية الدعوة حيث إن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم اعتبره القرآن بأنه بشر لكنه رسول ، فكان يذهب في بداية دعوته إلى الغار للتعبد والتنسك ، فيأمره الله تعالى بأن يعود من الغار إلى الدعوة والتبشير والانذار (يا أيها المدثّر قُمْ فأنذر وربك فكبّر وثيابك فطهّر والرجز

(1) عزت بيجوفيتش : المرجع السابق (ص278)
(2) المصدر السابق (ص 281)
(3)سورة العلق / الآية (1 ــ 2)

فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر)[1] كما يأمره الله تعالى بقيام الليل إلاّ قليلاً للراحة والنوم مع توجيهه إيّاه بالجهاد في سبيله ، والقراءة والتعلم ، والتجارة(يا أيهّا المزّمل قم الليل إلاّ قليلا نصفه أو انقص منه قليلاً)[2] ، ثم قال : (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه)[3] وهكذا تم الامتــزاج بين العالم الداخلي للإنسان وعالمه الخارجي الواقعي بين الوحي والعقل ، وبين العبادة ومظاهر الحياة الدنيا ، بين الصلاة في الليل والجهاد في النهار .

فالنظرة الأحادية إلى مكان العبادة جعلت الكنيسة معبد الربّ فقط ، وأن تصاميمها في ارتفاعها وظلامها كأنها مملكة الآخرة ، في حين أن المسجد ثنائية النشاط الجامع بين ذكر الله تعالى والآخرة ، وهموم الدنيا وبؤرة النشاط المختلف من القضاء والجهاد حتى الرياضة فيه ، وكذلك النظرة إلى البابا حيث هو معصوم ، ووسيط بين الإنسان والرب ، في حين أن العالم الديني في نظر الإسلام ليس معصوماً ولا وسيطاً كما أنه لا يوجد برنامجان واحد للمختارين وآخر لعامة الناس [4].

ولذلك يجب أن نولي عناية قصوى بشرح الإسلام الصحيح للغربيين بشكل خاص ، يقول الدكتور موريس بوكاي : (والواقع أننا ملزمون بملاحظة أن المعطيات الخاصة بالإسلام التي ذكرناها مجهولة عموماً في بلادنا الغربية ..؛ وزيادة على ذلك فهناك بعض أوساط مسيحية تحتقر المسلمين ، ولقد خبرت هذا حين حاولت إقامة حوار من اجل دراسة مقارنة حول عدد من الأخبار المذكورة في القرآن والتوراة معاً في موضوع واحد ، فلاحظت أن هناك رفضاً باتاً للنظر بعين الاعتبار ولو لمجرد التأمل فيما يحتويه القرآن..فكان الرجوع عندهم إلى القرآن يعني الاعتماد على الشيطان) [5].

التعريف بالإسلام :

الإسلام مصطلح جميل اختير بعناية من السلم ، والسلام ، وكما اختير الإيمان من الأمن والأمان ، والإسلام في حقيقته اللغوية الخضوع والانقياد لله تعالى[6] ، وفي الاصطلاح القرآني هو الدين الخالد الذي أنزله الله تعالى إلى البشرية جميعاً بدءاً من نبيّ الله آدم ومروراً بأنبياء الله تعالى نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وختماً بنبيّ الله تعالى محمد عليهم الصلاة والسلام حيث أنزل الله تعالى ما تحتاج إليه البشرية من هداية ونور ،واكتمل بناء الدين كله بالرسالة الخاتمة .

وقد اشتهر لفظ " الإسلام" على الدين الخاتم المنــزل على محمد صلى الله عليه وسلم في مقابل الأديان الأخرى مثل اليهودية ، والنصارى .... [7].

---

(4)سورة المدثر / الآية (1 ــ 7)

(5)سورة المزمل / الآية (1 ــ 3)

(6) سورة المزمل / الآية (20)

(1) عزت بيجوفيتش : المرجع السابق (ص282)

(2) د. موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة ، طبع ونشر دار المعارف بالقاهرة _ ص6 ،7)

(3) يراجع لسان العرب ، والقاموس المحيط : مصطلحا الإسلام والإيمان

(4) يراجع :

والإسلام والإيمان بمعنى واحد ، لكنهما إذا اجتمعا يراد بالإيمان الجانب العقدي ، وبالإسلام الجانب العملي من الأركان[1] ، كما في حديث جبريل الصحيح الذي سأل فيه عن الإيمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال ــ أي جبريل ــ صدقت ، فقال وأخبرني عن الإسلام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .....))[2] .

والإسلام دين شامل ينظم حياة الإنسان كلها من كل جوانبه وبالأخص الجانب النفسي ، والروحي ، والبدني ، فهو يهتم ببناء الإنسان الصالح النافع لنفسه السعيد في الدنيا والآخرة ، والمفيد لغيره ،كما يهتم بربط الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالقيم السامية ، فقد قال تعالى : (قل إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[3].

فالإسلام يريد أن يحي الإنسان بالقيم الإيمانية فتكون فيه روح الإيمان والشفافية والصفاء والسعادة والنقاء فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيــيكم)[4] .

كما يريد الإسلام أن تكون حركته لا تخرج عن إطار ما تفرضه عقيدته وقيمه الأخلاقية ، وهذا لا يعني تقييد الإنسان وكبت حريته ، وإنما يقصد به أن لا يكون عنده ازدواجية في الشخصية بحيث يكون في المسجد شخصاً عابداً خائفاً وجلاً ، وفي السوق وأماكن عمله شخصاً آخر لا يهمه الحرام ولا إيذاء الآخرين ، وإلاّ فمجالات حرية الإنسان كبيرة ، وذلك لأن ساحة المحرمات صغيرة ضيقة ، وأن الشعائر التعبدية لا تشكل إلاّ جزءاً يسيراً من وقته ، ولكنه يستطيع أن يحول حياته كلها إلى العبادة من خلال أي عمل صالح مع النية .

الدين ضرورة للفرد والمجتمع :

تكاد الدراسات الاجتماعية والنفسية تجمع على أن الدين فطرة كامنة داخل النفس ، وضرورة من ضرورات المجتمع والحياة ، لأنه يوجه الفرد نحو الالتزام بالقيم التي تدفعه إلى الصفاء ، والعمل والبناء والتعايش مع الآخرين وتكامل المقاصد والأهداف [5].

فالدين بصورة عامة والإسلام بصورة خاصة يقوم بضبط حياة الفرد ، وتنمية ضميره ، وصياغة شخصيته ، وتحقيق تماسك الجماعة ، والتماسك الاجتماعي من خلال الترابط والتقارب والألفة والقوة بين أبناء المجتمع .

كما أنه يقوم بتصحيح القانون الأخلاقي في المجتمع وضبطه من اجل تحقيق الخير،ودرء الشر ونشدان الكمال المطلق ، يقول الفيلسوف المعروف" كانت ":(وجود الذات الإلهية في اعماق النفس الإنسانية التي تشعر بأن نشدان الكمال مطلوب عقلي فطري ، فلا بدّ إذن من مبدأ على تحقيق التوازن بين الفضيلة والرذيلة،مبدأ

---

(5) يذهب جماعة من العلماء إلى أن الإيمان والإسلام بمعنى واحدوذهب الآخرون إلى أنهما مختلفان،يراجع لمزيد من التفصيل فتح الباري في شرح صحيح البخاري ط.السلفية بالقاهرة(1/114-115)ولكن الحافظ رجح القول الذي ذكرناه.

(6) صحيح البخاري ــ مع فتح الباري ، كتاب الإيمان (1/114) ومسلم ، كتاب الإيمان (1/39)

(7) سورة الأنعام / الآية (162)

(8) سورة الانفال / الآية (24)

([5]) د. مصطفى الخشاب :علم الاجتماع ومدارسه،ط. لجنةالبيان العربي(ص350)،ود. محسن عبدلحميد : قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر ط.2001 ص20

تخضع الطبيعة لإرادته على وفق قانون عادل،وما ذلك إلاّ خالق الطبيعة والإنسان جميعاً،فكان وجود الله هو المطلب الأخير الذي لا بدّ من تسليمه لتصحيح القانون الأخلاقي)[1].

ويقول المارشال مونتغمري في خطبته أمام الجيش الثامن في 4 مارس 1951 :(إن أهم عوامل الانتصار في الحرب هو العامل الأخلاقي ، ولا يمكن لقائد أن يدفع جنوده إلى بذل أقصى جهودهم في العمل إلاّ إذا كانت ضمائرهم مرتاحة إلى ما يعملونه ، ويقيني أن الجيش إذا سار على غير مرضاة لله سار على غير هدى)[2] .

وهناك الكثيرون من علماء الاجتماع والنفس يصرحون بضرورة الدين للمجتمعات حتى إن أبا علم الاجتماع الغربي دوركايم يقرّ بأنه(لا يمكن لأية جماعة بشرية أن تستغني عن الدين،ولهذا يستحيل أن نعيش بلا دين)[3].

وقد عرف فلاسفة الغرب أن الأخلاق لا تقوم إلاّ على دين ، وأن حياة الإنسان لا تستقيم إذا انحصرت في دائرة الحسيات ، وقد حاول بعض المفكرين (المذهب الأخلاقي الطبيعي) إقامة الأخلاق على أسس فلسفية مادية ،ولكن هذه المحاولات لم تحقق سوى الفشل والإفلاس،وقد اعترف بذلك كبار المفكرين الغربيين،يقول المفكر الفرنسي برتراند دي جوفنيل (Jovvnel) :(إن أية مجموعة من القيم تتصدى للحرب والتعذيب والطمع والفساد والاستغلال يجب في نهاية المطاف أن تأتي من خارج الإنسان بالذات ..) [4]، ويقول المفكر "جود" في كتابه : نقد الفلسفة الوضعية المنطقية الصادر عام 1950 : (إن الإنسان لم يشعر أبداً طوال تأريخـــه بحاجة إلى الدين شعوره بها اليوم) [5].

سماحة الإسلام وجماله الجِواني ، وإسلام جارودي :

يقول الفيلسوف الفرنسي المعروف جارودي : (أحب أن أقول إن انتمائي للإسلام لم يأت بمحض الصدفة ، بل جاء بعد رحلة عناء بحث ، ورحلة طويلة تخللتها منعطفات كثيرة حتى وصلت إلى مرحلة اليقين الكامل ، والخلود إلى العقيدة التي تمثل الاستقرار ، والإسلام في نظري هو الاستقرار)[6] ، ويمكن تلخيص أسباب إسلامه فيما يأتي :

1 ــ لم يزعم النبي صلى الله عليه وسلم أبداً أنه اختلق ديانة جديدة ، بل يدعونا إلى عقائد الأنبياء السابقين وبالأخص إبراهيم وموسى ، وعيسى (عليهم السلام) .

2 ــ لا يفصل الإسلام بين علم الحكمة ، وعلم الوحي الذي لا يتعارض مع العلم ولا مع الحكمة (فالإيمان عقل بلا حدود) وبذلك يضع العلاقة بين العقل والدين في إطارها الصحيح .

3 ــ يسمح الإسلام بوضع مشكلة العلاقات بين العقيدة والسياسة دون أن يخلطهما مع العلاقات بين الكنيسة والدولة مثلما حدث في أوربا وبخاصة في فرنسا [7].

4 ــ ثم ذكر الجارودي عظمة الإسلام التي تكمن فيما يأتي :

([1]) د. محمد عبدالله دراز : الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، ط.دار القلم ببيروت 1970 (ص148)

([2]) المرجع السابق (ص101)

([3]) طه الهاشمي : تأريخ الأديان ، ط.منشورات مكتبة الحياة ببيروت 1963 (ص240)

(5) رونالد ستورمبرج : تأريخ الفكر الأوربي الحديث (94/5)

(6) المصدر السابق ص95 ، ويراجع : د. أكرم العمري : الإسلام والوعي الحضاري ط. دار المنارة / جدة (ص21)

(1) جارودي:محاضرة حوار الحضارات التي ألقاها في الاسكندرية يوم 1983/3/21 نقلاً عن جريدة الأخبار في 1983/3/23

(2) جريدة الأخبار المصرية في 1983/8/9 نقلاً عن مجلة لوموند الفرنسية .

أ ــ جوهر الإسلام وروحه حيث كشف للإنسان أن الكون كله مظهر من مظاهر قدرة الله وأن التأمل فيه ، والعمل الإنتاجي فيه شكل من أشكال العبادة المقربة إلى الله تعالى .

ب ــ انفتاح الإسلام وتسامحه ، حيث يتجلى ذلك في تسامح الإسلام مع بقية الأديان وإعطائه الحرية الكالمة لأصحابها في ممارسة شعارها وطقوسها ، بل سمحت الدولة الإسلامية من أن يتقلد فيها اليهود والنصارى وغيرهم مناصب ووظائف هامة ، ومن هذا المنطلق يؤكد جارودي أن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح ولم يسلّ النبي السيف إلاّ دفاعاً عن دعوته ، وأن الفتح الإسلامي لم يكن استعماراً بل كان إنقاذاً لهؤلاء الشعوب من طغيان وغطرسة سلطات بلادهم الروحية والزمنية ، لذلك لم يقاوموهم ، ولعل أصدق صورة تعكس هذه الحقيقة هي أن العرب فتحوا الأندلس في بحر سنتين فقط ، في حين تطلبت استعادتها منهم سبعة قرون [1].

ج ــ ملحمة الإيمان في الزهد وجهاد النفس ، حيث أعطى الإسلام دفعة قوية لجهاد النفس وتزكيتها والارتقاء بالروح ، والعناية بالداخل الجواني ليتوافق مع الإرادة الإلهية .

د ــ تكامله من حيث العقيدة والسياسة والأخلاق والحقوق : ينطلق الإسلام من مبدأ مسلم به عنده وهو نفي الفصل بيم مشاكل الحياة الدنيوية ، وبين مبادئ العقيدة والأخلاق ، فالاقتصاد في ظل النظم الوضعية يهدف إلى الإنتاج والاستهلاك دون أدنى رعاية للغايات الإنسانية ، بينما لا يهدف الاقتصاد في ظل الإسلام إلى النمو لذاته ولكن إلى التوازن ، كما انه ليس محايداً تاركاً الحبل على الغارب ، ومع الحرية التجارية لكن السوق توجه نحو إشباع الحاجات الحقيقية للإنسان مع التجاوب مع أسس الإسلام وقواعده من خلال التوازن في توزيع الدخل ، والحيلولة دون الاحتكار فقال تعالى :(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) [2].إضافة إلى فرض حقوق على المال مثل الزكاة لتحقيق التأمين الاجتماعي الذي لم تعرفه أوربا إلاّ في القرن العشرين .

لقد وضع المسلمون قواعد الحرب وأخلاقها في عصر الرسالة وتطورت فيما بعد ، بينما لم يدون الغرب شيئاً من ذلك إلاّ في سنة 1340م في برشلونة بالأندلس بعد اقتباس الكثير من القواعد الإسلامية إثر دعوة الصليبيين من فلسطين ، ومن مدونة (الفونس العاشر) التي تشمل في قسمها العاشر على تشريع حول الحرية لم تكن إلاّ انتحالاً لكتاب ألفه أحد علماء الأندلس وكان يعالج كيفية حماية الأطفال والنساء والعجزة وكيفية الالتزام بالعهود والمواثيق وقت الحرب[3] .

العناصر الأساسية للإسلام :

الإسلام يتكون من ثلاثة عناصر أساسية :

العنصر الأول : العقيدة التي تــتكون من :

1ــ الإيمان بالله تعالى الواحد الأحد الرحمن الرحيم المحيط بكل شيء العليم السميع البصير الفرد الصمد الذي خلق هذا الكون كله ، ونظمه أحسن تنظيم ، فهو خالق كل شيء ، وإليه الأمر كله ، وهو المدبر لهذا الكون بيده مفاتيح الخير والشرّ والضرر والنفع وأن كل ما يجري في هذا الكون بمقدار وبحكمة متناهية ...؛ وقد ربط الله تعلى الأعمال والحوادث كلها بالسنن وربط بين الأسباب والمسببات.

---

(3) جارودي : لماذا أسلمت (ص90)

(4) سورة النور / الآية (37)

(5) جارودي : لماذا أسلمت (ص93ــ 94)

2 ــ الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين بدءاً من سيدنا آدم إلى خاتمهم محمد (عليهم الصلاة والسلام) ، وأنهم بشر أرسلهم الله تعالى برسالات لهداية الناس ولخيرهم وسعادتهم في دنياهم وعُقباهم ، وأن كل رسالة كانت تتضمن أسس العقيدة والأخلاق والعبادات ، قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون) [1]، وأنها ركزت على حلّ أهم المشاكل السائدة في عصرها ، فرسالة لوط ركزت على علاج مشكلة الشذوذ الجنسي ، ورسالة شعيب ركزت على علاج المشكلة الاقتصادية ، ورسالة عيسى ركزت على حل المشاكل المادية واللاأخلاقية والأنانية وعلى غرس القيم الروحية والسماحة ، وهكذا ، ثمّ جاء القرآن الكريم فتضمن الأصول والثوابت وكل الحلول السابقة إضافة إلى حل المشاكل السائدة في عصره ، كما تضمن المبادئ العامة المرنة ، والقواعد الكلية لحل جميع المشاكل المستقبلية ، فقال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [2].

3 ــ الإيمان بجميع الرسالات السماوية مثل صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وانجيل عيسى .

وبهاتين الفقرتين أصبح الإسلام وارثاً قد ورث تراث جميع الأنبياء والمرسلين ورسالاتهم وهذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم حينما رأى اليهود يصومون يوم العاشوراء فسألهم عنه فقالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله نبي إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : (فأنا أحق بموسى منكم) فصامه وأمر بصيامه[3]. وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحنه وأجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون ويعجبون ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟ قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [4].

4 ــ الإيمان بالملائكة وأنهم عباد الله تعالى الذين لا يعصون فيما يأمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

5 ــ الإيمان باليوم الآخر ، وبالحساب والجزاء وأن الله تعالى يبعث الإنسان بعد موته ليحاسبه على ما فعله ، فإن فعل خيراً فهو في الجنة بمشيئته ، وإن كفر ، أو فعل المعاصي فهو في النار بقدرته ومشيئته ، وأن الله تعالى خلق الجنة للموحدين العابدين ، والنار للكفرة والعصاة .

والإيمان باليوم الآخر له آثار كبيرة على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى فلا يفعلون المنكرات والمعاصي لأنهم يعلمون إن نجوا في الدنيا فلن ينجوا في الآخرة .

6 ــ الإيمان بالقضاء والقدر : أي ان كل شيء بيد الله تعالى وأنه خالق كل شيء وهذا الإيمان يفيد المؤمن في صبره وعدم جزعه وهلعه وقلقه ، ولا يمنعه من الأخذ بكل الأسباب ، بل الكل من قدر الله قال تعالى : (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)[5] فالمؤمن مطالب بالأخذ بكل الأسباب المتاحة مع التوكل على الله تعالى ، ثم إذا لم يتحقق المقصود فإنه يفوض أمره كله إلى الله تعالى فترتاح نفسه وتطمئن دون جزع ولا هلع ولا اضطراب .

وعقيدة الإسلام تقوم على البرهان والنظر والاستدلال والأدلة ، حتى إن إيمان المقلد غير مقبول ، ويتعلق بالعقيدة كل ما يتعلق بالقلب والنفس حيث يجب أن يمتلئ القلب بالحب لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ،

---

(1) سورة الأنبياء / الآية (25)

(2) سورة الشورى ، الآية (13)

(3) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، مع فتح الباري ط. السلفية بالقاهرة (244/4)،ومسلم الحديث 1130(795/2)

(4) الحديث متفق عليه : انظر صحيح البخاري ــ مع الفتح ــ كتاب المناقب (588/6) ، ومسلم ، كتاب الفضائل (1790/4) ، وأحمد (257/2 ، 398)

(5) سورة الحديد / الآية (23)

والبغض لأعداء الله تعالى ولمعصيته ، وبعقيدة الولاء والبراء ، وبالإخلاص ، وترك الرياء والنفاق ، وبالتوبة والإنابة والخوف من الله تعالى ومن عذابه ، وبالرجاء في رحمته والشكر ، والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والقدر ، والتوكل ، والرحمة والتواضع ، وترك العُجب والكبر والحسد ، والحقد ، والغضب .

خصائص الإسلام :

للإسلام خصائص ومميزات تميزه عن بقية الأديان والنظم الوضعية نحاول أن نوجزها فيما يأتي :

الخصيصة الأُولى : ثبوت كونه من الله تعالى مع الحفظ :

تدل كل الأدلة النقلية والعقلية والمعجزات بجميع أنواعها على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيل من حكيم حميد ، وأنه الوثيقة الوحيدة التي لم يطرأ عليها أي تغيير ، ولا تبديل ولا تحريف ، ولم يصبه النسيان ، حيث تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] ، وكذلك حفظ الله تعالى المصدر الثاني للإسلام (أي السنة النبوية) من خلال الجهود العظيمة التي بذلها العلماء في سبيل وصول الأحاديث الثابتة إلى الأمة[2] .

وأستشهد هنا بجهود وشهادة أحد كبار علماء الغرب المتخصصين في اللاهوت والعلوم وهو الدكتور موريس بوكاي حيث أثبت بالأدلة العلمية والأثرية والتأريخية أن الكتب السماوية السابقة كالتوراة والانجيل قد أصابها تحريف وتغيير وحذف وإضافة لأسباب كثيرة ، ولكن القرآن الكريم هو الوثيقة الوحيدة التي لم يطرأ عليها أي شيء من هذا ، حيث يقول : (وإننا لنأسف حقاً لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق ، إن ذلك الموقف يسيء كثيراً إلى الإيمان بالله لدى العقول المثقفة ، أما القرآن فهو وحي منـــزل وثابت معاً .... وقد كتب ويستظهره المؤمنون عند الصلاة....)[3].

ثمار هذه الخصيصة :

1ــ أن أحكام الإسلام وشرائعه تقوم على العدل المطلق ، والمساواة ، لأن الله تعالى هو خالق كل شيء ، وخالق جميع الأمم والشعوب والقبائل ، فهم جميعاً مخلوقاته وهو ربهم فلا يفرق بينهم ، ولا يفضل أحداً منهم على الآخر إلا بالتقوى والإخلاص ونقاء الضمير والعمل الصالح للدنيا والآخرة .

فالآيات القرآنية أكدت على ذلك فقال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليم خبير)[4] ، كما بيّن القرآن الكريم والسنة النبوية على أن جميع البشر من آدم ، وآدم من تراب إذن لا يبقى مجال للتفاضل الذاتي والعرفي ، وأنه لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح

---

(1) سورة الحجر / الآية (9)

(2) يراجع لبيان جهود العلماء :

(3) د. موريس بوكاي : المصدر السابق (ص 10 ــ 11)

(4) سورة الحجرات / الآية (13)

، وحتى هذا المعيار (التقوى) عند الله تعالى وليس عند البشر ، وبالتالي فلا يجوز لأحد أن يدعي أنه أفضل من الآخر .

وشهدت السنة العطرة والتاريخ الإسلامي والتجارب العملية على أروع الأمثلة في العدالة والمساواة بين الناس جميعاً في ظلّ الدولة الإسلامية .

2ــ العصمة من التناقض :

فقد بيّن القرآن الكريم ذلك حيث قال : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[1] ، وأما النظم الوضعية والتشريعات الصادرة من الإنسان مهما كانت دقيقة فلا تخلو من نقص وتعارض وتناقض واختلاف وهذا من طبيعة البشر[2].

3 ــ البراءة من التحيز والهوى :

من طبيعة الإنسان أن تكون لديه أهواؤه وميوله ونــزعاته الشخصية والأسرية والحزبية والقومية وميله الجارف لترجيح مصالحه على مصالح الآخرين ، ولذلك لم يخل تشريع بشري من التأثر بهذه الأهواء المختلفة ، فالتشريعات الرومانية أعطت ميزات كبيرة للإنسان الروماني حتى اشترطت في الأهلية الكاملة أن يكون رومانياً .[3]

أما منهج الله تعالى فهو من ربِّ العالمين ، وهو منّزه عن الأهواء ، بل أمر عباده أن يكونوا بعيدين عن الأهواء فقال تعالى : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضللك عن سبيل الله)[4] ، وقال تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم : (وأن احكم بينهم بما أنــزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنــزل الله إليك)[5] .

4ــ سهولة التطبيق :

بما أن الإسلام من عند الله فإن الناس يخضعون لأحكامه وتشريعاته بسهولة ، وينقادون لها عن رضا النفس ، لأنهم يرجون رحمة الله وثوابه في تطبيقها ويخافون عذابه إنْ عصوا ، أو احتالوا ، ولذلك استسلم الرعيل الأول من الصحابة لأوامر الله تعالى وخضعوا لنواهيه وقاوموا مقاومة شديدة لنــزعات النفس وشهواتها ، وللعادة والأعراف السائدة ، فقد استجابوا لله بسرعة فائقة حينما نزلت الآيات الأخيرة في تحريم الخمر فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) فقالوا : نعم انتهينا [6]. في حين دفعت مئات الملايين بل المليارات بعض الدول للقضاء على الخمر ، أو المخدرات ومع ذلك لم يمتنع عنها الناس كما حدث في عصر الرسالة .

---

(5) سورة النساء / الآية (82)

(6) د. يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ،ط. مكتبة وهبة بالقاهرة (ص 44)

(1) يراجع لتفصيل ذلك : د. علي القره داغي : مبدأ الرضا في العقود ، دراسة مقارنة ، ط. دار البشائر الإسلامية ببيروت (1/ 364)

(2) سورة ص / الآية (26)

(3) سورة المائدة / الآية (49)

(4) الآيات (90 ــ 91) من سورة المائدة /وانظر الحديث بنصه في سنن الترمذي ــ مع تحفة الأحوذي ط. الكتبي في المدينة المنورة (8/416ــ417) ، ومسند أحمد (2/351)

وكذلك الحال في أثقل الأشياء على النفس مثل تجنيد الشباب حيث كان شباب الصحابة يتسابقون إلى الجندية والتضحية بالنفس في سبيل الله ، وكذلك الأمر في دفع الزكاة ، في حين أن الدول المتقدمة تعاني أشدّ المعاناة من التهرب الضريبي والتحايل بكل الوسائل لعدم دفعها .

التوازن بين كون الشريعة من الله ودور العقل والاجتهاد :

أراد الله تعالى أن يضمن في شريعته الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان في مجال العقيدة ، والأخلاق والتفصيلات المطلوبة فيهما ، وفي عالم الأسرة والعبادات ، ولكنه اكتفى في عالم المعاملات والعادات والسياسة بذكر المبادئ العامة والقواعد الكلية التي تعتبر بمثابة الثوابت لها ، أما ما عدا ذلك فقد ذكر له نصوصاً تحتمل أكثر من معنى ، أو تركها للاجتهاد الإنشائي .

وبذلك كان للعقل دور عظيم في فهم النصوص الشرعية جميعاً ، وتصنيفها إلى نوعين : نصوص قطعية الثبوت والدلالة التي تمثل الثوابت ، ونصوص ظنية تحتمل اكثر من معنى ، فيصول فيها العقل ويجتهد ويرجح على ضوء ضوابط اللغة والعرف والمقاصد الشرعية والمصالح المعتبرة .

أما دور العقل الكبير فيأتي في القضايا التي لم ينـــزل فيها نصّ خاص ، وهي ما تسمى بمنطقة العفو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال ، وما حرّم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً وتلا:"وما كان ربك نسيّاً ")[1] .

ومن حكمة الله تعالى أنه لم ينـــزل في القضايا القابلة للتطوير نصوصاً كثيرة مثل القضايا السياسية ، بل أنـــزل فيها جملة من المبادئ مثل العدالة ، والشورى ، والحرية ، والمساواة ، وترك ما عدا ذلك من الوسائل والكيفية والمستجدات للاجتهاد .

ففي هذه المنطقة الواسعة يصول العقل ويجول فيجتهد اجتهاداً إنشائياً على ضوء النصوص العامة ، والمبادئ الكلية والقواعد العامة ، والمصالح ومقاصد الشريعة الغراء **وبذلك يجمع الإسلام بين الثبات في المبادئ العامة والنصوص القطعية والتطور فيما عداها وبين الأصالة والمعاصرة ، وبين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين المثبتات والمتغيرات .**

الخصيصة الثانية : أن الإسلام عالمي إنساني :

ومعنى كونه عالمياً أنه ينظر إلى جميع مَنْ يعيش على الأرض باعتبارهم وحدة متماسكة غير منفصلة في مصالحها ، ومعنى كونه إنسانياً أنه نزل لأجل الإنسان كلّ الإنسان عقله ، وقلبه ، ونفسه ، وروحه والارتقاء به وتكريمه وتحقيق حريته وحقوقه ، ومنع كل ما يؤدي إلى امتهانه أو إخافته ، أو خزيه في الدنيا والآخرة ، أو الانتقاص من حريته ، أو انتهاك حرماته ، ولذلك ركز القرآن الكريم على الإخاء الإنساني وألغى عوامل التمييز والتفرقة بين الناس[2] ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر هذا الدعاء الذي يعلن فيه الإخاء الإنساني بين عباد الله كلّ عباد الله فقال (... اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلّ شيءٍ ومليكه ، أنا شهيد أن العباد كُلهم إخوة)[3] .

---

(1) الآية (64) من سورة مريم / والحديث رواه الحاكم في المستدرك (375/2) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (171/1) : (رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون)

(2) فتحي رضوان : من فلسفة التشريع الإسلامي ، نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة) ص 154 ــ 155) ، وأ.د. يوسف القرضاوي : مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ط. مكتبة وهبة بالقاهرة (ص 134 ــ 135)

(3) رواه أحمد في مسنده (369/4)

فالإسلام عالمي التوجه والرسالة ، وإن كان قد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بقومه ، ثمَّ بجميع العرب والعجم ، لأن هذا هو الجانب العملي التنفيذي ؛ حيث لا يمكن نشره إلاّ من خلال خطوات مرحلية ، لكن القرآن الكريم أكد على عالمية رسالة الإسلام في مكة المكرمة ، كما أكدها وطلب تطبيقها في المدينة المنورة ، بل تحدث القرآن الكريم في أول سورة تنـــزل (اقرأ) عن الإنسان مطلقاً دون تقييده بكونه عربياً أمْ لا ، وفي السورة الثانية (المزّمل) تحدث عن المكذبين دون تقيد ، كما تحدث عن التجار والمقاتلين في سبيل الله بألفاظ عامة بل القرآن الكريم يـــبدأ بسورة الفاتحة وفيها (ربِّ العالمين) وينـــتهي (بربّ الناس ملك الناس إله الناس ...) ثمَّ آخر كلمة من القرآن (... والناس) ، بل إن الآيات المكية تدل بوضوح على عالمية الرسالة قال تعالى: (قُلْ يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً)[1] ، وقال تعالى : (وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين)[2] .

وفي المدينة المنورة أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل إلى جميع الحكام المحيطين بالمنطقة منذ شهر ذي الحجة من العام السادس الهجري فأرسل صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي إلى قيصر الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، وعمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة ، وحاطب بن بلتعه إلى المقوقس حاكم مصر [3].

ويدل نص الرسائل التي وصلت إلينا على عالمية الرسالة ، وعلى أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم كان همه الوحيد نشر الدعوة الحقة دون النظر إلى الجانب الاقتصادي أو توسيع الرقعة السياسية ، حيث عرض على هؤلاء الإسلام وبيّن لهم بأنهم إنْ بقوا فهم على ملكهم ، كما تدل هذه الرسائل على وحدة الأديان في أصولها وثوابتها حيث روى البخاري بسنده نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ،وهو : (من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام علي من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين[4] و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهد بأننا مسلمون)[5] .

الخصيصة الثالثة : كونه ديناً خالداً خاتماً لا يأتي بعده دين آخر ، شاملاً للإنسان كله بروحه وعقله وجسده وفي مجالات الحياة كلها من حيث العقيدة والأخلاق والتشريع والعبادات في جميع الأزمان

---

(1) سورة الأعراف / الآية (158)

(2) سورة الأنبياء / الآية (107)

(3)تأريخ الأمم والملوك للطبري ، ط.دار المعارف بالقاهرة (288/2) ، وسيرة ابن هشام ،ط.مصطفى الحلبي بالقاهرة (279/4) ، وذكر ابن سعد في طبقاته ط.بيروت (258/1) : " أن تأريخ ذلك بدأ في المحرّم من العام السابع الهجري " ، وتبعه ابن القيم في زاد المعاد ، ط.محمد علي صبيح (30/1) ، فليس بين التأريخين فرق كبير ، ولذلك جمع بينهما الحافظ ابن حجر في فتح الباري ط.السلفية (38/1) بأن دحية أرسل في آخر العام السادس (ذي الحجة) ووصل إلى هرقل في (المحرم) سنة سبع . ويراجع لتفصيل ذلك : د.أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ط.مركز بحوث السنة والسيرة بقطر(454/2) .

(4) أي الفلاحين ، قال الخطابي : (أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له) انظر:فتح الباري (39/1)

(5) الآية (64) / سورة آل عمران / والحديث في صحيح البخاري ــ مع الفتح ــ كتاب بدء الوحي (32/1)

والأمكنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يؤكد ذلك قوله تعالى : (قُلْ إن صلاتي ونُسُكِي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين)[1] .

لذلك ينظم الإسلام حياة الفرد من حين كونه جنيناً إلى موته بل وما بعد موته ، وينظم شؤون دينه ودنياه وآخرته وعقباه ، وذلك عن طريق النصوص العامة والخاصة ، والمبادئ الكلية والقواعد الكلية لهذا الدين :

أ ــ شمول عقيدته ، حيث تفسّر القضايا الكبرى في هذا الوجود التي احتارت فيها عقول الفلاسفة من حيث المبدأ والمنتهى والمصير وكيفية العلاقة بين الإنسان وربّه ، وبينه وبين كل من حوله وما حوله ، فقد أجاب الإسلام عن كل ما يحتاج إليه الإنسان في عالم الغيب ، فأوضح صفات الخالق ووحدانيته ، وبيّن أن الكون كله كان دخاناً ، ثمَّ ماءً ، ثمِّ رتقاً ، (أي شيئاً واحداً) ففتقه ، وأن الإنسان خلق من تراب لكنَّ الله نفخ فيه من روحه ، كما أوضح المصير بعد الموت إلى حياة أخروية خالدة تطبق فيها قواعد العدل الإلهي مع رحمته وقاعدة الثواب والعقاب ، وفصلت الأدلة الشرعية هذا الطريق الطويل بدءاً من موت الإنسان وحياته البرزخية في القبر ، ثمِّ إحيائه ثمّ حشره يوم القيامة ،إلى كل ما يتعلق بذلك اليوم ، والجنّة والنار بتفاصيل لا يحتاج الإنسان إلى أكثر من ذلك .

ونظم العلاقة بين الإنسان وربّه ، وبيّن قوى الخير والشرّ ، فبيّن بأن مرجع الأمر والخلق والكون إلى الله تعالى ، وأن الإنسان له عقل وإرادة واختيار في إطار مشيئتة الله المطلقة المحيطة في توازن بديع رائع حلل فيه مشكلة كون الإنسان مسيراً أمْ مخيراً ضمن وحدة ثنائية القطب التي شرحناها .

ب ــ شمول عبادته لقلب الإنسان من خلال الإيمان والذكر والحب ، والصلاة ، والحج ، والجهاد ، ولماله من خلال الزكاة والصدقات ، ولنفسه من خلال الصيام والجهاد ... فالمؤمن عابد لله تعالى بقلبه خائفاً راجياً محباً متوكلاً ، وبعقله متفكراً متأملاً ، وبنفسه صائماً مهذباً مروِّضاً لها على الخير ، وببدنه مصلياً صائماً حاجاً ومعتمراً ، وبلسانه ذاكراً داعياً تالياً ، وبجميع أعضاء بدنه في عبادة الله تعالى وفعل الخير ، وبماله مزكياً مصدقاً [2].

جـــ ــ شمول الالتزام بالإسلام كلّه :

الإسلام يوجب على المسلم أن يلتزم بالإسلام كله فلا يجوز طرح جانب منه حتى ولو أخذ بجانب آخر منه ، فلا يجوز إغفال جانب العبادة حتى ولو أخذ بالعقيدة ، فالعمل ركن من أركان الإسلام والإيمان ، كذلك لا يجوز إهمال الأخلاق والسلوك حتى ولو أخذ بالعبادات والشعائر ، كما أنه يحرم التحاكم إلى غير شرع الله حتى ولو أخذ بالجوانب الأخرى فقد قال الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)[3] أي ادخلوا في الإسلام كله ، قال ابن عطية:(ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الإسلام) وكلمة (كافة) أي لجميع أجزاء الشرع وللمخاطبين[4] .

الخصيصة الرابعة : التوازن :

يعتبر التوازن من أهم خصائص الإسلام ، والمقصود به أن الإسلام جاء برسالة تجمع بين متطلبات الروح والجسد ، وبين مصالح الفرد والجماعة ، وبين سعادة الدنيا والآخرة فشعار ذلك : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة

---

(6) سورة الأنعام / الآية (162)

(1) يراجع أ.د. يوسف القرضاوي : خصائص الشريعة (ص 105)

(2) سورة البقرة / الآية (208)

(3) تفسير ابن عطية ، ط.قطر (198/2)

وفي الآخرة حسنة) [1]، وبين الثبات والثوابت والمبادئ والتغير في الوسائل والجزئيات ، وهذا هو المقصود بثنائية القطب ، وبالوسطية التي قال الله تعالى فيها : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[2] .

وهذه الوسطية تعني الاعتدال والتوازن في منهجها ونظامها ، بعيداً عن الافراط والتفريط ، ولذلك ينْعي على أولئك الذين لا ينعمون بنعم الله عليهم فقال : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) [3]، فالإسلام وسط في الاعتقاد من حيث الجمع لإثبات العقيدة الاعتماد على العقل والوحي دون إلغاء أحدهما كما هو الحال في حالتي الافراط والتفريط ، كما أنه وسط في العبادات والشعائر بين الذين يلغونها ، والذين أفرطوا فيها وتفرغوا لها بالكامل كما هو الحال في الرهبانية المسيحية ، في حين أن الإسلام أخذ بالكل ولكن في حدود مناسبة ومنضبطة .

والإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين ، وغلاة الواقعيين الذين أهملوا الجانب الروحي ، وخاضوا في الصفات الشهوانية والحيوانية في حين أن الإسلام أعطى كل جانب حقه حيث بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم : (إنّ لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه) [4]، وفي حديث آخر قال : (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه) [5].

وهو وسط في التشريع والأحكام في الحِلّ والتحريم ، فقال : الأصل في الأشياء الإباحة ، ومع ذلك حرَّم كل ما هو ضرر وخبيث وظلم وإيذاء وأكل لأموال الناس بالباطل .

وهو وسط أيضاً بين الروح الفردية ، والروح الجماعية ، حيث تلتقيان في صورة متزنة رائعة تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات وتوزع فيها المغانم والتبعات بقسطاط مستقيم بعيداً عن الصراعات التي حدثت بين المذاهب الفردية والرأسمالية والمذاهب الإشتراكية [6].

والإسلام وسط بين نظريتي الجبر والاختيار ، وبين كون الإنسان مخيَّراً ، أو مسيَّراً ، وبين مشيئة الله تعالى ومشيئة الإنسان ، فقد دلت النصوص الشرعية على أن للإنسان إرادة واختيار ومشيئة يكون بمقتضاها مسؤولاً عن تصرفاته ، ومستحقاً لقاعدتي الثواب والعقاب .

فالإسلام يقوم على هذا التوازن الرائع بين الجانبين المادي والروحي فألف بينهما حتى يتسنى للإنسان أن يستفيد من كل طاقاته على أسس صحيحة سليمة ، ويعلمه أن الجانبين المادي والروحي متلازمان متلاصقان ، وأن الفصل بينهما يؤدي إلى مشاكل كبيرة على مستوى الفرد والجماعة .

وقد عانت البشرية كثيراً نتيجة سيطرة أحد الجانبين على الآخر ، يقول العالم الفرنسي الدكتور دي بروجي (Dr. De Brogi) : (إن الخطر الكامن في المدنية المادية البحتة يمكن تلخيصه في أنه موجه إلى هذه المدنية نفسها ، هذا الخطر هو الاختلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه إذا لم تجد الحياة الروحية لها طريقاً

---

(4) سورة البقرة / الآية (201)

(5) سورة البقرة / الآية (143)

(6) سورة الأعراف / الآية (32)

(7) رواه البخاري من حديث سلمان الفارسي ، كتاب الصوم ، مع فتح الباري (208/4)

(1) رواه أحمد في مسنده (186/4 ــ 187 ، 217/5) ، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي

(1) أ.د. يوسف القرضاوي : المرجع السابق (ص 128 ــ 134)

إلى جانب المدنية المادية لتعيد إلى الإنسانية توازنها الذي تفتقر إليه ، لقد اعتمدت المسيحية على أحد الجانبين وأخطأت المدنية الحديثة في الجانب الآخر) [1].

كما عانت البشرية كثيراً بين النظرية القائمة على تقديس الفرد دون اعتبار للجماعة ، ومن النظرية القائمة على تقديس الجماعة ــ كالاشتراكية الشيوعية ــ دون عناية تذكر بالفرد وحقوقه ، ولكن الإسلام أوجد تناسقاً بين حياة الفرد وحياة الجماعة ، فهو يؤكد وجود الكيان الشخصي للفرد ، ويعطي له جميع حقوقه ، ويعتبره مسؤولاً ومحاسباً أمام الله ، ويحافظ على كرامته دون المساس بها ، ومع ذلك يولي عنايته أيضاً بالجماعة ومسؤوليتها ويغرس في نفوس الفرد هذه الروح الجماعية من خلال الاخوة والتكافل الاجتماعي والدفاع الجماعي ونحو ذلك [2]، ولذلك يقول محمد أسد في سبب إسلامه : (ان الإسلام يبدو لي كأنه بناء محكم في هندسته وتصميمه ، كل أجزائه متوازنة متناسقة ليكمل بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً لا زيادة فيه ولا نقصان ، ويؤدي ذلك إلى نتيجة واحد هي التوازن الكامل والاستقرار الشامل فهذه الدراسات التي قمت بها ركزت في نفس الاقتناع بأن الإسلام بشطريه الروحي والاجتماعي ما يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية على الإطلاق) [3].

الخصيصة الخامسة : دين الحقوق والواجبات معاً :

إن معظم النظم والشرائع تولي عنايتها إما بحقوق الأفراد ، وتبني عليها فقط فلسفتها كما في النظرية الرأسمالية الأولى ، أو بالواجبات الملقاة على عاتقهم دون النظر إلى حقوقهم كما في النظرية الاشتراكية الشيوعية ، في حين أن الإسلام يراعي الأمرين ويوازن بينهما موازنة رائعة منسجمة متناغمة ، فكل إنسان في نظر الإسلام له حق وعليه واجب كل بقدره ، وحتى على مستوى الحيوانات والبيئة والجمادات ، فلهن حقوق علينا من حيث وجوب الرعاية والعناية وعدم الافساد ، كما أن عليها حقوقاً للإنسان حيث لنا الحق في استعمالهنَّ بما يحقق مصالحنا دون ضرر ولا ضرار ، بل إن هذا المبدأ طبّقه الإسلام بصورة لطيفة بين الإنسان وربّه ، حيث إن لله تعالى على الإسنان حقوقاً في عبادته وتعمير الكون على ضوء منهج الإصلاح ، وأعطى للإنسان حقوقاً وهي في الدنيا الحصول على نتائج عمله ، وفي الآخرة الجنة والرضوان ، وهذا ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما بسندهم عن معاذ قال : بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ... فقال : ((يا معاذ ، قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ... قال : هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثمَّ سار ساعة .. ، فقال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حق الله على العباد أن لا يعذبهم))[4] .

فهذا المبدأ العظيم يجعل الناس لا ينتظرون الحقوق فقط ، بل يحسوّن بواجباتهم فيندفعون نحْوها ويؤدونها على أكمل وجه دون الانتظار للوصول إلى الحق ، ولذلك فالإنسان في ظل الشريعة مطالَب ــ بفتح اللام ــ أولاً بتنفيذ كل ما عليه من واجبات والتزامات ، وأنه لا تسقط حقوق مهما طال الزمن ولم يطالب بها ، في حين أنه في ظل القانون مطالِب ــ بكسر اللام ــ أولاً بحقوقه ، ولذلك تسقط الحقوق بالتقادم ما دام لم يطالب بها خلال فترة زمنية محددة ، وأن الفرد يبحث دائماً عن الثغرات للنفاذ من خلالها لإسقاط حقوق الآخرين .

---

(2) مقدمة البوفيسور خورشيد أحمد علي : كتاب " لماذا أسلمنا) ط.قطر (ص31 ، 32)

(3) المرجع السابق (ص36)

(4) محمد أسد : مقالته في كتاب " لماذا أسلمنا " (ص50)

(1) صحيح البخاري ــ مع فتح الباري ــ كتاب اللباس (397/10 ــ 398) ، ومسلم كتاب الإيمان (58/3)

وفي ظل الشريعة ما دام كل فرد يؤدي كل ما هو واجب عليه فإن الفرد المقابل ستصله حقوقه ، لأن ما هو واجب عليه هو حق للآخر في الغالب ، ومن هنا تكون النـــزاعات قليلة بين الأفراد ، كما كان الحال في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة ومن هنا كان التصالح بين الخصمين هو السمة البارزة في ذلك العصر دون اللجوء إلى القضاء [1].

الإسلام وموقفه من الحضارات والمدنية والعمارة :

ينطلق الإسلام في نظرته إلى الحضارات والعمارة من منطلق أن الإنسان خليفة في الأرض ، وان الله تعالى زوده بكل مقومات التعمير والبناء والحضارة ، وأعطاه من صفاته التي تحقق من هذا الغرض المنشود مثل العلم والقدرة والإرادة ، قال الفقيه ابن العربي : (ليس لله خلق أحسن من الإنسان فإن الله جعله حياً عالماً قادراً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً وهذه صفات الربّ ، وعنها عبر بعض العلماء ، ووقع البيان بقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله خلق آدم على صورته)[2] أي على صفاته التي قدمنا ذكرها)[3] ، ولذلك حينما فهم الملائكة أن أسباب هذه الخلافة ينبغي أن تعود إلى العصمة والتسبيح والذكر والسجود لله تعالى ، وهذا موجود في الملائكة ، في حين ان الإنسان ليس على هذا المستوى حيث يعصي الله تعالى ، إذن فليس أهلاً لأن يكون خليفة في الأرض ،ردّ الله عليهم ذلك مبيّناً أن هذه الخلافة تعطى لمن هو قادر على كيفية التعامل مع الكون من خلال العلم ، فقال تعالى لملائكته : (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلّم آدم الأسماء كلها كلَّها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ علمتّنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)[4].

وبعد ما أظهر للملائكة هذه الأسرار وبيّن لهم فضل الإنسان ، أمرهم بالسجود سجود اعتراف وتحية إلى هذا الإنسان الذي سخر الله تعالى هذا الكون كله لأداء مهمته في التعمير وإذا أراد أن يسعد في الآخرة فعليه أن يعبد الله تعالى ويعمر الكون على ضوء منهج الله تعالى في الإصلاح دون الإفساد والظلم .

فهذه القصة واضحة جداً في بيان التصور الإسلامي نحو فضل الإنسان ودوره في هذا الكون في التعمير وبناء الحضارة على ضوء سنن الله في التعمير ، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة أكثر من مرة من خلال آيات أخرى تدل على دور الإنسان وما كلف به ، وما سخر الله تعالى له فقال : (ألم تروا أن الله سخرَّ لكم ما في

---

(2)انظر : صحيح البخاري ، كتاب الصلح ــ مع فتح الباري ــ (297/5 ــ 311) ، ومسلم كتاب آداب القضاء من الجزء الثالث .

(1) هذا حديث صحيح متفق عليه ، صحيح البخاري ــ مع الفتح ــ كتاب الاستئذان (3/11) ، ومسلم كتاب البر (4/ 2017) ، وأحمد (244/2)

(2) أحكام القرآن لأبي بكر المعروف بابن العربي ط.دار المعرفة / بيروت (1952/4)

(3)سورة البقرة الآية (30) ، ويراجع التفسير الكبير للرازي ، ط.دار احياء التراث العربي / بيروت (159/2 ــ 238) ، وتفسير ابن عطية ط. قطر (1/ 225 ــ 266) ، وفي ظلال القرآن ط. ، وفتح القدير للشوكاني

السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ...)[1] وفي سور كثيرة فصَّل الله تعالى أنواع التسخير للشمس والقمر ، والليل والنهار ، والحيوانات والبحار والجمادات.

الأمم والشعوب سواء في بناء الحضارة :

والإسلام أراد من أول يوم نـــزل بناء مجتمع حضاري يقوم على العدل والانصاف والمساواة بين جميع البشر دون التفرقة بين جنس وآخر ، ولون وآخر دون تفاضل إلاّ على أساس العمل الصالح (الانتاج للدنيا والآخرة) والإخلاص والتقوى ، فكلهم من آدم وآدم من تراب ، وإذا وجد تخلف في أي شعب فإن أسبابه تعود إلى الظلم والبعد عن المنهج القويم ، لكن الشعب نفسه إذا اتيح له المجال فهو مثل بقية الشعوب والأجناس الأخرى وبذلك قضى على العنصرية التي لم تتخل عنها معظم الأمم السابقة واللاحقة ، فكل أمة إذا سيطرت وغلبت ادعت لنفسها نوعاً من الأفضلية والاختيار لا يوجد في أمة أخرى ، أو شعب آخر كما حدث للرومان ، والفرس والإغريق واليونان ، بل وصلت إلى بعض الديانات القديمة بعد تحريفها حيث تدعي اليهودية أن اليهود هم شعب الله المختار .

بل وصلت هذه العنصرية إلى القرون الأخيرة فقد ألف أرفوردو غوبينو (ت1882) كتابه المسمى (بحث في تفاوت العروق البشرية) في أربعة مجلدات يشرح فيها أسباب رقي المجتمعات وتأخرها ويصل إلى أن الجنس الأبيض هو أعلى العروق وأرفعها وأقدرها على الإبداع والحضارة[2]. وتبعه ستوارت تشميرلن في كتابه (دعائم القرن التاسع عشر بالألمانية عام 1899م) ، ودوبلاج في كتبه : (الاصطفاءات الاجتماعية عام 1896م) ، (والآري وتصرفه الاجتماعي عام 1899م) (والعرق والبيئة الاجتماعية عام 1909م) ، وفرانسيس غالتون وغيرهم ، بل تجسدت هذه الأفكار من خلال النازية والعنصرية التي تبناها هتلر ، وموسوليني .

وحينما ذاق العالم ويلات الحرب العالمية الثانية التي دمرت العالم بسبب هذه النـــزعة العنصرية قام المفكرون الغربيون أنفسهم بمواجهة هذه الفكرة المدمرة وإن كان بعضهم قد ردّ عليها حتى قبل الحرب العالمية الثانية ، أمثال جوان كوماس عالم الأجناس البشرية ، حيث أثبت عدم وجود فوارق بينها ، وأثبت العالم الإيطالي نبشفورد والدكتور برسوتر وغيرهم عدم التفرقة بين الأجناس والألوان في الذكاء والفقر والغنى والانحراف والخمول ، بل إن العالم الاجتماعي المعروف كارل بيرسون أجرى احصاءً على ألف مجاز من جامعة كمبرج وخمسمائة طالب بها فلم يجد أي علاقة بين لون الشعر ودرجة الذكاء .

كما قام بإجراء إحصاء للعباقرة في الجزر البريطانية ليعرف نسبة الشقر فيهم ونسبة السمر فكانت النتيجة مخيبة لآمال العنصرين حيث وجد أن عدد العباقرة (424) وأن ألوانهم كالآتي : (115أسمر) ، (85قاتماً) ، (71أشقر) ، (99كستناوياً) ، (54وسطاً) [3].

وجاء في قصة الحضارة : (وقصارى القول : إن الآريين لم يشيدوا صرح الحضارة ، بل أخذوها عن بابل ومصر ، وأن اليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاءً ، لأن ما ورثوه منها كان أكثر مما ابتدعوه ... فإن درسنا

---

(4) سورة لقمان الآية (20)

(1)انظر : د. توفيق الواعي : الحضارة الإسلامية ط. دار الوفاء بالمنصورة في مصر 1408هـ (ص53...)

(2) هـ . جـ ، ولنو : معالم تأريخ الإنسانية (125/1) تعريب عبدالعزيز توفيق ط. لجنة التأليف والترجمة ، والنشر بالجامعة العربية بالقاهرة ، ود. توفيق الواعي : المرجع السابق (ص58-59)

الشرق الأدنى وعظمنا شأنه فإنا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شيّد بحق صرح الحضارة الأوربية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد) [1].

وجاء بعدهم أرنولد توينبي ليهدم تلك النظرية العنصرية من أساسها بأدلة علمية دامغة [2]. وقصدنا بذلك أن ما وصل إليه المفكرون المنصفون في القرن العشرين هو مبدأ إسلامي عظيم سبقهم إليه بعدة قرون .

عناصر الحضارة الأساسية في الفكر الإسلامي :

تكمن هذه العناصر في الإنسان الذي زوده الله تعالى بكل ما يحتاج إليه في التعمير ، وفضله وكرمه (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)[3] وفي الأرض التي زودها الله تعالى بكل عناصر الحياة ومقومات البناء والابداع حيث سلمها الله تعالى الأرض وهي صالحة إلى الإنسان فأمره بالإصلاح ونهاه عن الإفساد فيها فقال تعالى : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين)[4] وتحدث عن المفسد الملعون في نظر الإسلام بقوله : (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)[5] .

والإسلام لا يختصر عناصر الحضارة في الأرض بل يضم إليها بقية أجزاء الكون التي سخرها الله تعالى للإنسان من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والمجرات وما فيها فقال تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[6] .

والعنصر الثالث هو القيم الإسلامية في مجال العقيدة وربطها بالتعمير ، والقيم الخلقية ، وقيم العمل والبناء وقيم احترام الوقت وغير ذلك مما لا يسع المجال لذكرها ، فهذه القيم كلها ربطت المسلم بالحضارة والبناء باعتبارها عبادة ، بل إن تصفح صفحات الكون بالتفكير والتذكر والاستفادة كتصفح صفحات القرآن من حيث الأجر والثواب والعبودية ، فقال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً .....)[7] .

بعض القيم المؤثرة في الحضارة :

ونتحدث هنا عن بعض القيم الإسلامية المؤثرة في الحضارة وهي :

1 ـ إعطاء الأهمية للعقل والتفكير :

---

(3) ول ديورانت : قصة الحضارة (10/2) ترجمة بدران ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بالجامعة العربية / القاهرة

(4) توينبي : مختصر دراسة التأريخ (1/90-93) ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر بالجامعة العربية / القاهرة

(1) سورة الإسراء / الآية (70)

(2) سورة الأعراف / الآية (56)

(3) سورة البقرة / الآية (205)

(4) سورة الجاثية / الآية (13)

(5) سورة آل عمران / (190)

فالعقل سبب تميز الإنسان عن غيره ، وهو مناط التكليف ، وهو الدليل للوصول إلى الله تعالى ، وهو أكرم شيء في الإنسان فقد ورد في حديث مرسل جيد الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول ما خلق الله تعالى العقل ، فقال له : أقبلْ ، فأقبل ، ثمَّ قال له :أدبر ، فأدبر ، ثمَّ قال : وعزتي وجلالي ما خلقت أكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك أثيب وبك أعاقب)[1].

وقد اعتنى القرآن الكريم عناية قصوى بالعقل ، وربط بين الكفر والجهل والضلالة ، وبين عدم العقل ، كما ربط بين دخول النار وعدم العقل فقال تعالى : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير)[2] أي لو كنّا نسمع الوحي المنـــزل ، أو نعقل ونفكر في هذا الكون لأمنّا بهذه الرسالة ، وبمقتضاها ، وحينئذٍ ما كنّا من أهل جهنم ، وقال تعالى في أكثر من آية في الربط بين الكفر وبين عدم العقل : (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[3] ، وقد أعطى الله تعالى أيضاً الدور للعقل في فهم الأمثال وتحليلها والوصول فيها إلى النتائج فقال تعالى : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)[4].

ودور العقل في النظر والاستفادة من الكون في التسخير والتعمير وبناء الحضارة في قوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنـــزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[5] .

ودور العقل في الوصول إلى أن الدين ضرورة للحياة وأن الآخرة خير من الدنيا في قوله تعالى : (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)[6] ، وقوله تعالى : (لقد أنـــزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون)[7] .

وقد تكرر لفظ (عقل) ومشتقاته في القرآن الكريم تسعاً وأربعين مرة شملت أهميته ، ودوره في مجالات الحياة كلها من مجالات العقيدة والعبادة ، والآخرة والعمل الصالح ، وتعمير الكون .

فبلا شك فإعطاء هذا الدور الكبير للعقل يعود بالنفع العظيم والتشجيع على الإبداع والابتكار وتسخير الكون وتعميره تعميراً صالحاً .

وأما التفكير في الكون للوصول إلى خالقه ومدبره ، والتفكير فيه لتسخيره وتعميره وإصلاحه والاستفادة من كل ذراته فريضة شرعية [8] دلت عليها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[9] .

---

(1) قال السيوطي في الدرر : إني وجدت لهذا الحديث أصلاً صالحاً ، وهو مرسل جيد الإسناد ، يراجع لتفصيل ما قيل فيه : جامع الأصول (18/4) ، وكشف الخفا (148/2)

(2) سورة الملك / الآية (10)

(3) سورة الرعد / الآية (4) ، وفي سورة النمل / الآية (12) ، وبلفظ (آية) في سورة النحل / الآية (67) ، وبلفظ (لآيات لقوم يعقلون) في سورة البقرة / الآية (164)

(4) سورة العنكبوت / الآية (43)

(5) سورة البقرة / الآية (164)

(6) سورة الأعراف / الآية (169)

(7) سورة الأنبياء / الآية (10)

(8) ألف الأستاذ عباس العقاد كتاباً سماه : التفكير فريضة

(9) سورة آل عمران / الآية (194)

بل دلّ القرآن الكريم بأن الآيات تنــزل إلاّ ليتفكر فيها فقال تعالى : (وأنــزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نــزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[1] ، وقال تعالى : (كتاب أنــزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)[2] ، وأن الآيات الكونية والقرآنية لم يفصل فيها إلاّ لأجل التفكير فيها فقال تعالى : (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)[3] .

فقد تكررت ألفاظ " تفكر " ومشتقاته ، و" تدبر " ومشتقاته ، ولفظ " فقه " ونحوه و " تذكر " ومشتقاته مئات المرات في القرآن الكريم ، فهذا الدين دين العلم والعقل والفقه والفهم ، والتدبر والتفكر ، لأنه متفق مع الفطرة السليمة ومع العقل السليم ، وأنه لا يمكن أن يتعارض نصّ صريح صحيح مع العقل السليم ، وهذا ما صرح به علماء المسلمين قاطبة .

فهذه العناية بالتفكير تدفع المسلم نحو الإبداع والإنتاج من خلال التفكير العميق في كلّ ذرة من ذرات الكون كله بمجراته ، وشموسه ، وكواكبه ، ونجومه .

ومن جانب آخر فإن هذه العناية الإسلامية ، ومطالبة الإنسان بالتدبر في القرآن الكريم وتحديه بأنه لا يجد فيه نقصاً ولا خلالاً ولا خلافاً وأكبر دليل على الثقة بالإسلام بأنه من عند الله الذي خلق العقل فأنــزل إليه هذا القرآن العظيم حتى يزداد تنوراً وقدرة على التعامل مع الكون ، وتدبير مصالحه في الدنيا والآخرة .

دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة :

تكفل القرآن الكريم والسنة النبوية بشرح العقيدة وما يحتاج إليه المسلم من العلم بعالم الغيب بأدلة وبراهين مقنعة ، ثم أمر الإسلام المسلم بأن لا يخوض في عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) بل يشغل عقله وفكره بعالم المادة والطبيعة لإنتاج العمل الصالح وخدمة الإنسان وتعمير الكون على ضوء منهج الصلاح ، ولذلك اهتدى المسلمون إلى المنهج التجريبي الذي أخذه الغرب فيما بعد وبنى عليه حضارته القوية .

لذلك تمتاز العقيدة الإسلامية بهذه المميزات التالية :

1 ــ وضوح الرؤية لكل ما يحتاج إليه الإنسان .

2 ــ الطمأنينة والسكينة والقناعة من خلال الإيمان بالقضاء والقدر .

3 ــ فهم الأشياء على حقيقتها .

4 ــ الصبر والجرأة والشجاعة في مواجهة الشدائد وعدم الانهيار أمام المصائب مهما كانت كبيرة ، وعدم الطغيان والتجبر والتكبر مهما أقبلت الدنيا على الإنسان كما قال تعالى : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)[4] ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سرّاء فشكر فكان خيراً ، وإن أصابته ضرّاء فصبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لغير المؤمن)[5] .

5 ــ الإيمان بالمساواة بين البشر وتحقيق العدل والتكافل الاجتماعي ، لأن ربهم واحد فهو خلقهم من أصل واحد ، وأوجب عليهم ما يحقق العدل والخير للجميع .

---

(1) سورة النحل / الآية (44)
(2) سورة ص / الآية (29)
(3) سورة يونس / الآية (24)
(1) سورة الحديد / الآية (23)
(2) الحديث رواه

التصور الشامل للكون :

الكون مخلوق لله تعالى وبيّن القرآن بعض تفاصيل هذا الخلق حيث كان دخاناً ، ثم ماءً ، ثم كان شيئاً واحداً ففتقه ، فقال تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)[1] ، وقال تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) [2].

هذه المخلوقات خلقت لغاية وهدف دون عبث (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[3] ، (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين)[4] ، وقال تعالى :(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)[5] ، وقال تعالى:(أفحسبتم أنا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون)[6] .

وقد خلق الكون علىتمام الاتقان والنظام ودقة التقدير وشدة الاحكام واهتداء كل شيء قال تعالى : (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون)[7] ، وقال تعالى : (فلينظر الإنسان مم خلق)[8] ، وقال : (ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا)[9] ، وقال : (والذي قدر فهدى)[10] ، وقوله : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[11] .

وأن المخلوقات خلقت لنفع الإنسان قال تعالى : (وقيل للذين اتقوا ماذا أنــزل ربكم قالوا خيراً)[12] فهذا التصور الشامل يساعد الإنسان على التعمير والإبداع والإنتاج ، لأن العلم والمعرفة هو الأساس للإبداع ، ومن جانب آخر فإن الإنسان المسلم لا يحتاج إلى أن يشغل عقله وتفكيره في عالم الغيب ، لأن المعلومات حوله كافية ، لذلك يسخر كل عقله وطاقاته للتعمير المادي في حين لو انشغل عقله بعالم الغيب لما استطاع أن يبدع في عالم المادة .

قانون السببية في الخلق واحترام السنن :

يقوم الخلق كله على قانون السببية فقال تعالى : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[13] ، (فأتبع سببا)[14] ، وقد أقر الإسلام هذا القانون في إطار متوازن مع الإيمان بقدرة الله تعالى وإرادته دون تعارض ولا

---

(3) سورة فصلت / الآية (11)
(4) سورة الأنبياء / الآية (30)
(5) سورة آل عمران / الآية (191)
(6) سورة الأنبياء / الآية (16)
(7) سورة ص / الآية (27)
(8) سورة المؤمنون / الآية (115)
(9) سورة النمل / الآية (88)
(10) سورة الطارق / الآية (5)
(1) سورة الفرقان / الآية (2)
(2) سورة الأعلى / الآية (3)
(3) سورة طه / الآية (50)
(4) سورة النحل / الآية (30)
(5) سورة الطور / الآية (35)
(6) سورة الكهف / الآية (85)

تصادم ، ولذلك فرق بين التوكل المطلوب الذي يعني الاعتماد على الله والإيمان بقدرته ، ثم الأخذ بجميع الأسباب المتاحة ، وبين التواكل المنبوذ الذي يعني التكاسل وإهمال الأخذ بالأسباب وبالتالي الفشل والخسران .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع تصرفاته وحركاته وفتوحاته يعتمد على جميع الأسباب المتاحة بعد التوكل على الله تعالى حيث لم يهمل أي سبب متاح ، ففي هجرته خرج بشكل اعتمد فيه على كل وسائل الإخفاء عن قريش بما لايدع أي مجال للشك في أن الأخذ بالأسباب مطلوب حتى للأنبياء ، وكذلك في غزوة بدر حتى استفاد من الشمس حيث جعلها خلفه حتى تطلع متجهة نحو عيون المشركين ، وقد لبس في غزوة أحد درعين[1] تعويداً للأخذ بالأسباب ، حيث كانت سيرته العطره تجسيداً لهذا التوازن الرائع بين الإيمان بالله والتوكل عليه وبين الأخذ بالأسباب المشروعة المتاحة [2] .

بل إن القرآن الكريم إضافة إلى أمره الأخذ بالأسباب وإعداد القوة ما استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، فإنه قد حدد النسبة في البداية بواحد من المسلمين إلى عشرة من المشركين ، ثم خفف إلى واحد إلى اثنين فقال تعالى : (الان خفف عليكم وعلم أن فيكم ضعفاً إن يكن منكم مائة صابة يغلبوا مائتين)[3] ولم يكلف بأكثر من ذلك ، مما يدل على أهمية الكثرة والعدد بجانب القوة المعنوية .

وهذه العقيدة القائمة على الأخذ بالأسباب جعلت المسلمين أن يبذلوا كل جهودهم لتحقيق أسباب القوة والحضارة والتمكين غير معتمدين على الخيال والخرافات ، وحتى الكرامات والمعجزات التي إن أتت فهي بفضل الله تعالى ، فلم يدخل المسلمون على مرّ تأريخهم في أية معركة عسكرية أو حضارية معتمدين على المعجزات والكرامات فقط ، بل اعتمدوا على الله تعالى ثم على جميع الأسباب الممكنة ، ولذلك أراد الله تعالى أن يشهد صحب الرسول صلى الله عليه وسلم هزيمة عسكرية في معركة أحد ، حينما خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر الذي كان يتعلق أيضاً بالأخذ بالأسباب ، حيث أمر الرماة أن لا ينـــزلوا من فوق جبل عينين ، لكنهم نزلوا فحدثت المصـــيبة ، فـــقـــال تـــعـــالى : (أو لمّا أصـــابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هـــو من عند أنفـــسكم)[4] .

ومن هنا استطاع المسلمون أن يحققوا حضارة رائعة خلال أقل من قرنين شهد بتقدمها والابتكارات فيها المنصفون .

قيمة البقاء والفناء :

ويعلم المؤمن أنه خالد بروحه وأعماله وإن بليت الأجساد ، وأن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأنه يجب عليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، ولآخرته كأنه يموت غداً ، وبذلك يوازن بين دنياه وآخرته ، كما أنه يؤمن بأنه لن ينفعه في الآخرة إلاّ الأعمال الصالحات الباقيات والصدقات الجاريات ، ولذلك لن يترك الدنيا إلاّ وقد ترك أثاراً طيبة تبقى بعده من العلم والعمارة لتشهد له في الدنيا والآخرة اقتداءً بإبراهيم عليه السلام قدوة الأنبياء حيث دعا ربه فقال : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين)[5] ، أي ذكراً حسياً ، أي وفقني لأن أترك أثاراً

---

(7) المستدرك (3 / 25)

(8) يراجع في تفصيل الهجرة ، والسيرة العطرة : كل كتب السيرة وبالأخص سيرة ابن اسحاق

(9) سورة الأنفال / الآية (66)

(1) سورة آل عمران / الآية (165)

(2) سورة الشعراء / الآية (84)

نافعة طيبة يراها الناس من بعدي فيذكروننني بالخير حيث بنى الكعبة المشرفة ، والمسجد الأقصى فبذكره جميع المؤمنين .

نظرة الإسلام إلى الحضارات :

ينظر الإسلام إلى أن الحضارات جميعها تراث إنساني فيع عناصر الخير والشرّ ، والبناء والهدم ، والنفع والضرر ، وفيه الحسنات والسيئات .

وأن الأمة الإسلامية ليست مسؤولة عما جرى لها : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يفعلون)[1] وإنما الأمة الإسلامية مطالبة بأن تأخذ منها ما هو صالح ونافع وتضيف إليه ما تستطيع إضافته ليكون لها دور وريادة وقدرة على البناء والتمكين .

فالمسلمون مطالبون بأن يأخذوا كل ما هو الأحسن من القول والفعل والتراث والعلم ، والحضارة (فالحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها أنّى وجدها)[2] .

وكرر القرآن الكريم " الحكمة " عشرين مرة ، فجعل تعليم الحكمة من أهم وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[3] ، وقال تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)[4] وجعل تعليم الحكمة من أكبر النعم على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى:(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمّك ما لمْ تكنْ تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)[5] .

وأمر الله تعالى رسوله ، والدعاة أن تكون دعوتهم قائمة على الحكمة فقال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[6] .

وقد ربط الله تعالى بين الحكمة وبقاء الملك وشد احكامه وقوته وتطويره فقال تعالى في حق داود عليه السلام : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)[7] ، بل إن الله تعالى جعل الحكيم من أسمائه وصفاته ، وكرر القرآن الكريم هذا الاسم أكثر من مائة مرة .

ومن هذا المنطلق بذل المسلمون جهوداً كبيرة وأموالاً طائلة في ترجمة التراث الإغريقي واليوناني والفارسي والهندي إلى اللغة العربية ، حتى يحكى أن المأمون كان يوزن المخطوطة بالذهب ، فيدفع في سبيلها ووزنها ذهباً ، وكان الخلفاء والأمراء يتباهون بكثرة الكتب في مكتباتهم ، حتى إن خزانة الكتب بمصر كانت تحوي كتب بزدجرد (ملك فرس) وأن مكتبة الخليفة عزيز (بمصر عام 386هـ ـ 996م) تحتوي على ستمائة ألف كتاب ، وأن الحكم صاحب الأندلس يتكون فهرس مكتبته من أربعة وأربعين جزءاً ، وأن فهرس كتب الصاحب بن عباد (ت 384هـ ـ 994م) يقع في عشرة مجلدات ضخام ، ولم يكن بها إلاّ أسماء الكتب فقط دون أي تعليق ، ويقارن الأستاذ آدم متر هذه الكثرة بقلة الكتب في كنائس الغرب قائلاً : (ولنذكر ما كان في بعض

---

(3) سورة البقرة / الآية (134)
(4) هذا حديث روي مرفوعاً وموقوفاً
(5) سورة الجمعة / الآية (2)
(6) سورة البقرة / الآية (269)
(7) سورة النساء / الآية (113)
(8)سورة النحل / الآية (125)
(9) سورة ص / الآية (20)

خزائن الكتب في الغرب على سبيل المقارنة : كانت في مكتبة الكانذرائية بمدينة كنستانز في القرن التاسع الميلادي ثلاثمائة وستة وخمسون كتاباً ، وفي مكتبة دير البندكتيين عام 1032م ما يزيد على المائة بقليل ، وفي خزانة كتب الكانذرائية في مدينة بامبرج سنة 1130م ستة وتسعون كتاباً فقط)[1] .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يستفيدوا من حضارات الأمم السابقة ، وتأريخهم ، وما تركوه ، وما آلوا إليه من نتائج ، ولذلك ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصصاً كثيرة للأمم والشعوب ، ثم أمر المسلمين بالعبرة والاتعاظ وأخذ الدروس والفوائد من كل ما فعلوه (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)[2] ، بل أمر الله تعالى بالسير في الأرض للنظر في آثار هؤلاء الأقوام فقال تعالى : (قل سيروا في الأرض فانظروا .....)[3] .

هذا وقد سجل القرآن الكريم كلمات خالدة لأناس حتى ولو لم يكونوا مسلمين ، أو مؤمنين بالله تعالى ، فسجل القرآن الكريم كلمة امرأة عزيز مصر : (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)[4] ، وقل ملكة سبأ (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)[5].

والإسلام لا يكتفي بمجرد الأخذ وإنما بالاتقان والتطوير بناءً على أن التوقف هو عين التأخر تنفيذاً لقوله تعالى :(لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)[6] ولم يقل(أو يتوقف) لأن التوقف هو عين التأخر .

يضاف إلى ذلك أن الإسلام لا يكتفي بالحسن ، بل لا بدّ من الأحسن في كل شيء ، الأخذ بأحسن ما يسمع (فبشرّ عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[7] ، والجدال بالأحسن (فجادلهم بالتي هي أحسن)[8] ، والعمل الأحسن (ليبلوكم أيكم احسن عملا)[9] ، والجزاء بالأحسن (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)[10] ، والقول الأحسن (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)[11] ، والدفع بالتي هي أحسن (ادفع بالتي هي أحسن)[12] ، ووجوب اتباع الأحسن (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم)[13] ، ووجوب الأخذ بالأحسن (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)[14] .

ومن المعلوم في اللغة العربية أن " أحسن " صيغة تفضيل أي أفضل أنواعه ، وأن هذه الصيغة لا تعني الوقف عند حد معين ، فما هو الأحسن اليوم قد لا يكون كذلك ، لذلك يجب متابعة الأحسن دائماً ، بأن

---

(1) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده ، ط.دار الكتاب العربي بيروت 1967 (322/1 ــ 323)

(2) سورة يوسف / الآية (111)

(3) سورة العنكبوت / الآية (20)

(4) سورة يوسف / الآية (53)

(5) سورة النمل / الآية (34)

(6) سورة المدثر / الآية (37)

(7) سورة الزمر / الآية (18)

(8) سورة النحل / الآية (125)

(9) سورة هود/ الآية (7)

(10) سورة النحل/ الآية (97)

(11) سورة الإسراء/ الآية (53)

(12) سورة المؤمنون / الآية (96)

(13) سورة الزمر / الآية (55)

(14) سورة الأعراف / الآية (145)

تكون هذه الأمة على أحسن حال في جميع الأمور وهذا يعني أن هذه الأمة لا ينبغي لها إلاّ أن تكون في مقدمة الأمم والأقوام في كل مجالات الحياة ، والانتاج والابداع ، والخدمات .....

والإسلام يؤمن بسياسة التوريث بأن تقوم هذه الأمة بتوريث كل ما عندها إلى الأجيال اللاحقة ، كما أنه يفرض على أتباعه أن يجعلوا العلوم بجميع أنواعها للجميع ، وأن لا يمنعوه عن أحد كما ورد بذلك أحاديث كثيرة .

وفي الأخير فإن الإسلام ضد الإفساد ، ومع الإصلاح فحرّم كل العوامل التي تؤدي إلى هدم الحضارات وأوجب الإصلاح ، وهذا شعار الأنبياء (إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت)[1] .

دور الحضارة الإسلامية في الحضارات اللاحقة :

لقد أوضح الفيلسوف المعروف جارودي دور الحضارة الإسلامية في الحضارات اللاحقة فذكر أنه عندما رحل الراهب الفرنسي (جربير) للدراسة في جامعة قرطبة قفل راجعاً وقد بلغ من العلم مبلغاً صار يتهم بأنه قد فاق الشيطان ، ثم اصبح بعدئذٍ البابا باسم (سلفستر الثاني) وأن الحضارة الغربية تدين للعلوم الإسلامية في مجالات الطب والحساب والجبر ، والبصريات ، والفلسفة ، والمنطق ، وغيرها ، فقد كانت الجامعات الأوربية في فرنسا وبريطانيا تدرس كتب الرازي ، وابن رشد ، وابن هيثم ، وغيرهم القرن السادس عشر في فرنسا ، ومنتصف القرن التاسع عشر في انجلترا [2].

ولم تقف استفادة الغرب من المسلمين عند الجانب النظري بل استفاد من المراصد والخرائط ، واكتشاف الأرقام العربية ، والصفر والمواد الكيماوية والصيدلة والصناعية ونحوها .

وفي مجال العلوم الإنسانية يتحدث جارودي عن ابن خلدون بأنه مخترع مفهوم علمي عن التأريخ وعن علم الاجتماع ، وأن هذه الشخصية لا يمكن أن تظهر من الفراغ ، بل تدل على نمو الفكر الإسلامي في عصره في مجال العلوم الاجتماعية [3].

ويذكر جارودي أن العلوم تجمدت في أوربا ، لأن الكنيسة أبدت ريبة تجاه الطبيعة زاعمة أنها تبعد عن الإله ، وهكذا استمرت تحارب العلوم عبر تأريخها ، بينما انطلق العلم في الإسلام من مبدأ الوحدانية حيث لا مجال للتفريق بين الطبيعة وعلم الكلام والفلسفة والفنون المختلفة ، وبين رسالة المسجد والمدرسة ، وكانت جامعات القرويين بفاس ، والزيتونة بتونس ، والأزهر بالقاهرة ، وسمرقند ، وقرطبة ، معالم إشعاع ليست للعالم الإسلامي بل لأوربا التي تأثرت بها وأسست كليات الطب في سالونيا بايطاليا ، ومومباليه بفرنسا على غرار كليات الطب الإسلامية .

وفي مجال الرياضيات كانت مساهمة المسلمين عظيمة في نهضة أوربا وساعدت على تطوير الحساب والجبر ، ولا أدل على ذلك من الأعداد التالية (**4444**) تكتب على هذا النحو(**F I L K S S S M M M M**) وكان من الصعوبة بمكان إحراء أية عملية حسابية أو جبرية مع هذه الرموز [4].

---

(1) سورة هود / الآية (88)

(2) روجيه جارودي : لماذا أسلمت ، ط.مكتبة القرآن (ص77 ــ 79) إعداد محمد عثمان الخشب

(3) المرجع السابق نفسه

(4) جارودي : لماذا أسلمت (ص 96 ــ 97)

ولم يكن حظ علم الاجتماع أقل شأناً من بقية العلوم ، فكان لابن خلدون دور كبير في بلورة الأسس العلمية له ، كما تفوق علماء المسلمين على علماء الفلك اليونانيين سواء في مجال الملاحظة أو القياسات ، كما عملوا على تطوير الجغرافيا والرياضيات .

الإرهاب أو الرحمة في الإسلام :

الإرهاب في اللغة يراد به التخويف من رهبه رَهَباً ورَهْبَة ورَهباً ، أي أخافه ، و (ترهب) الراهب : انقطع للعبادة في صومعته ، و(استرهبه) أي خوّفه ، و(الراهب) المتعبد في صومعته من النصارى والمتخلي عن الدنيا ، وجمعه (الرهبان) ، و (الرهبانية) و (الرهبنة) و(الرهبون) ، التخلي عن الدنيا وملاذها والعزلة عن أهلها [1] .

و(الإرهابي) لفظ حديث لم يكن مستعملاً في المعاجم اللغوية ، ولكن أصبح شائعاً ، على من يستعمل العنف ضد الأبرياء الآمنين ، وأقره مجمع اللغة العربية [2].

ولم يرد في القرآن الكريم لفظ الإرهاب ، وإنما تكررت مادته اثنتي عشرة مرة استعملت أربع مرات للخوف من الله تعالى وهي قوله تعالى : (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)[3] أي يخافون ربهم ، وقوله تعالى : (وإياي فارهبون)[4] أي خافوا الله تعالى وحده ، وقوله تعالى : (إنما هو إله واحد فإياي فارهبون)[5] ، وقوله تعالى في وصف المؤمنين : (ويدعوننا رغباً ورهباً)[6] أي رغبة في رضاء الله تعالى وجنته ، وخوفاً من غضبه وعذابه ، وبمعنى الخوف من الإنسان مرة واحدة وهي قوله تعالى : (لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله)[7] ، وبمعنى التخويف مرتين وهما قوله تعالى : (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)[8] أي خوفوهم ، وقوله تعالى : (ترهبون به عدوّ الله وعدوكم)[9] أي تخيفوهم باعداد القوة ، وبمعنى الكمِّ في قوله تعالى : (واضمم جناحك من الرهب)[10] ، وبمعنى الاعتزال عن الحياة وملاذها في النصرانية أربع مرات في الآيات 43 التوبة ، 82 المائدة ، 31 التوبة ، 27 الحديد .

ولا يختلف معناه واستعمالاته في السنة المطهرة عما ذكر[11] .

ونقف هنا مع الآية الكريمة التي تتحدث عن إرهاب العدّو وهي قوله تعالى : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدَّو الله وعدّوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ...)[1] .

---

(1) لسان العرب ، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، مادة (رهب)
(2) المعجم الوسيط ط.قطر (376/1)
(3) سورة الأعراف / الآية (154)
(4) سورة البقرة / الآية (40)
(5) سورة النحل / الآية (51)
(6) سورة الأنبياء / الآية (90)
(7) سورة الحشر / الآية (13)
(8) سورة الأعراف / الآية (116)
(9) سورة الأنفال / الآية (60)
(10) سورة القصص / الآية (32)
(11) يراجع : المعجم المفهرس لألفاظ السنة المطهرة مادة (رهب) ج2ص113

فقد جاءت هذه الآية في خضم الحديث عن المعارك التي دارت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء الكفار الذين حاربوه وحاولوا القضاء على دينه في غزوة بدر الكبرى والغزوات اللاحقة .

حيث تتحدث الآيات (56 وما بعدها) عن هؤلاء الكفرة المشركين الذين نقضوا عهودهم ، وعن خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيانة هؤلاء وتحديهم لله تعالى ، فأمر الله تعالى بإعداد القوة بجميع أنواعها لتخويف هؤلاء الأعداء ومن وراءهم حتى لا يطمعوا بسبب ضعف المسلمين في قتالهم والحرب ضدهم ..

فالآية الكريمة يفهم منها أن الإسلام لا يريد الحرب لذاتها بل يريدها للدفاع عن الدعوة الحقة ، بل الآية يفهم منها أن الغرض من الإعداد هو عدم وقوع الحرب بسبب خوف الأعداء من قوة الإسلام فيخافون منها فلا يقدمون على الحرب ، ولذلك جاءت الآيات الثلاث بعدها مباشرة تتحدث عن السلم ، فتقول : (وإنْ جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم جميعاً لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ...)[2] .

فلم يقل ربّ العالم : وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة لقتل العدّو مطلقاً ، وإنما لإرهابه وتخويفه ، فالآية تمثل بعداً استراتيجياً انتبهت إليه الدول الكبرى في عصرنا الحاضر من الأسلحة النووية التي سلمت بها الدولتان العظميان أمريكا ،والاتحاد السوفيتي السابق من الحرب بينهما طوال النصف الأخير من القرن العشرين ، في حين أن النصف الأول منه قد شهد حربين عالميتين راح ضحيتهما مئات الملايين من الناس وآلاف المليارات من الدولارات ــ كما لا يخفى ــ .

فهذه الآيات الثلاث توضح الاستراتيجية الإسلامية في الحرب التي تقوم على الدعائم التالية :

1ــ الإعداد الممتاز للقوة الروحية والمعنوية والعلمية ، ، والمادية والبشرية ، والاقتصادية والعسكرية والصناعية .... وأن يكون هذا الإعداد على أقصى طاقات الأمة أفراداً وجماعات وحكومة .

2ــ ان هذا الإعداد ليس للتعدي أبداً ، ولا لحب القتال أيضاً ، وإنما لتخويف أعداء الله تعالى وأعداء الأمة الذين يتربصون بالمسلمين ويريدون لهم دوائر السوء ، فهذه القوة لحماية دار الإسلام ، ولتحرير الإنسان كله في الأرض كلها .

3ــ ان هذا الإعداد للقوة على هذا المستوى يحقق الردع الاستراتيجي لمنع الاعتداء والحرب من كلّ مَنْ تُسَوِّل له نفسه للاستفادة من ضعف الآخر ، فحماية الأمة إنما تتحقق من خلال قوتها الرادعة وإلاّ (تتداعى عليها الأمم كما تتداعى على قصعتها)[3] .

4ــ باب السلام مفتوح دائماً على مصراعيه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) حيث أمر الله تعالى بالسلام ، والسلم لكل من يجنح إليه ، حتى ولو كانت نيته خبيثة (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ...) .

5ــ فهذه الآيات تدل على أن الأصل في الإسلام في العلاقات بين الشعوب والأمم والدول هو السلم والسلام العادل حيث أمر الله تعالى به حتى ولو أراد المقابل الخداع ، فلو لم يكن أصلاً عظيماً لما كان الله تعالى أولى له هذا الاعتناء وأمر بالجنوح إليه حتى ولو أراد المقابل الخداع والمكر. وأما السلام الذي فيه إهانة للإسلام

---

(12) سورة الأنفال/ الآية (60)

(1) يراجع لذلك : تفسير ابن عطية ط.قطر (356/6...)، وفتح القدير للشوكاني (318/2)

(2) جزء من الحديث الذي رواه أحمد في مسنده (2/ 359 ، 5/ 278) ، وأبو داود في سننه ــ مع عون المعبود ــ كتاب الملاحم (11/ 404)

والمسلمين وحقوقهم فهذا هو الذي لا يجوز تنفيذه لقوله تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)[1] .

6ــ تقوية الجبهة الداخلية وتوحيدها وإقامتها على العقيدة والاخوة الإيمانية والتآلف بين القلوب ، وإزالة كل مظاهر الصراع والنــزاع بين الأمة وأنفسهم ، وبينهم وبين حكامهم .

7ــ الحفاظ على العهود والمواثيق بين المسلمين وغيرهم ماداموا يحافظون على عهودهم.

8ــ الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه من قبل ومن بعد ، والسير على هديه وطريقه المستقيم ، وحينئذٍ تكون مع الأمة وإعدادها القوة الإلهية والقدرة الربانية ، وهذا التوكل حماية للأمة وحصانة لها ، وبذلك تتحقق للأمة الإسلامية كل عناصر القوة المادية والمعنوية .

9ــ الإسلام دين واقعي للحياة يواجه مناهج أخرى وتقوم على القوة والسلطان ، وتقف وراءها قوى مادية فلا مفرّ للإسلام لحماية منهجه الرباني وإقراره من قوة عظيمة يحمي بها نفسه وأنصاره ، ويتيح بها المجال لحرية الآخرين فيحطم بها قوى الشر والطواغيت الذين يقفون دون تحقيق هذه الحرية .

10ــ ربط قوله تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) بواو العطف على الآية السابقة : (واعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ....) يدل على أن هذا الإعداد للقوة بهذا المستوى يؤدي إلى أن أعداء الإسلام يجنحون إلى السلم حتى ولو كان في الظاهر وحينئذٍ لا يقع القتال ، ولا الهجوم منهم على المسلمين ، وقد أشار الإمام الرازي إلى هذا الربط حيث يقول : (واعلم أنه لما بيّن ما يرهب به العدّو من القوة والاستظهار بيّن بعده أنه عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح فالحكم هو قبول الصلح)[2] .

وهذه الآيات لا تعارض بينها وبين الآيات الآمرة بالقتال أبداً ، لأن الآيات الأخيرة خاصة بقتال هؤلاء المعتدين والناقضين للعهود ، والذين يتربصون بالمسلمين بحيث لم تنفع معهم وسيلة إلاّ وسيلة الحرب.

وجاء في ظلال القرآن : (هذه الآيات ... تمثل إحدى قواعد العلاقات الخارجية بين المعسكر المسلم وما حوله من المعسكرات الأخرى ... وظلت إحدى القواعد الأساسية في المعاملات الإسلامية الدولية ، إنها تقرر إمكان إقامة عهود تعايش بين المعسكرات المختلفة ما أمكن أن تصان هذه العهود من النكث بها مع إعطاء هذه العهود الاحترام الكامل والجدية الحقيقية .....)[3] .

وقال الإمام الرازي : (وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ، ومستعدين له مستكملين لجمع الأسلحة والآلات خافوهم ، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة :

أولها : أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام (أي لحربهم) .

ثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم بالجزية (أي الاعتراف بالدولة الإسلامية والمساهمة في الدفاع عنها بالمال الذي يدفع نظير حقوق المواطنة) .

ثالثها : أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان .

رابعها : أنهم لا يعينون سائر الكفار (الأعداء) .

ثمّ قال تعالى : (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) والمراد أن تكثير آلات الجهاد وأدواته بما يرهب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يرهب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء ... مثل المنافقين .... فإن قيل : المنافقون : لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكرتموه الإرهاب؟

---

(3) سورة آل عمران / الآية (139)

(1) التفسير الكبير (187/15)

(2) في ظلال القرآن (1539/2)

قلنا : هذا الإرهاب من وجهتين :

الأول : أنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأدواتهم انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين ، وذلك يحملهم على أن يتركوا الكفر في قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مخلصين في الإيمان .

الثاني : أن المنافق من عادته أن يتربص ظهور الآفات ويحتال في إبقاء الفساد والتفريق فيما بين المسلمين ، فإذا شاهد كون المسلمين في غاية القوة خافهم وترك هذه الأفعال المذمومة) [1].

موقف الإسلام من الإرهاب :

لا ينبغي الحكم على شيء إلاّ بعد تصوره ومعناه المراد ، لذلك فلا يمكن أن يذكر حكم الإرهاب في الإسلام إلاّ بعد تحديد مراده .

لذلك نقول : عن كان المقصود بالإرهاب : تخويف الأعداء من خلال إعداد القوة لمواجهتهم واسترداد الحقوق والدفاع عن الحق والتحرير فهذا عمل مشروع في كل الشرائع والقوانين الدولية ، وهو داخل في الجهاد الإسلامي الذي هو ماض إلى يوم القيامة ، وهو من الكفاح المشروع لاسترداد الحقوق السليبه كما هو الحال في فلسطين ونحوها .

وأما إذا كان المراد به هو تخويف الآمنين الأبرياء أو قتلهم فهذا غير جائز شرعاً ، وذلك للأدلة التالية :

1ــ الإسلام دين الرحمة للناس كافة ، بل للعالم أجمعين ، فإذا كان الإرهاب بمعنى تخويف الآخرين قد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة ، فإن لفظ (الرحمة) ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم مئات المرات حيث أولى الإسلام عناية منقطعة النظير بالرحمة والعدالة والمعاني الإنسانية حتى لا نرى مثلها في أي نظام ، أو دين آخر ، ويكفي أن نرى القرآن الكريم يكرر لفظة (رحم) ومشتقاتها أكثر من (340) مرة إضافة إلى تكرار (الرحمن الرحيم) في بسم الله الرحمن الرحيم في بداية السور مائة وثلاث عشرة مرة ، تحدث فيها عن عظمة الرحمة ، وكونها صفة لربّ العالمين ، بل إنها الكلمة الوحيدة التي اشتقت منها صفتان لله تعالى يذكرهما المسلم في صلاته ، وعند بدئه بأي عمل فيقول : بسم اله الرحمن الرحيم ، بل جعل الله تعالى الغاية من إنــزال هذه الرسالة المحمدية هو نشر الرحمة للعالم أجمع وليست للمسلمين وحدهم فقال تعالى : (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين)[2] ، وجعل الله تعالى (رؤوف رحيم) من أسماء الرسول حيث قال : (بالمؤمنين رؤوف رحيم)[3] ، ويقول : (ورحمتي وسعت كل شيء)[4] ، وجاءت السنة النبوية لتوضيح هذه المعاني السامية من خلال السنة القولية ، والسنة العملية ، فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بأنه (نبي الرحمة)[5] كما وضع صلى الله عليه وسلم قاعدة في غاية من الأهمية تقضي بأنه (من لا يَرْحَم لا يُرْحَم)[6] وأن الله لا يرحم من لا يرحم المخلوقات إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا يمكن حصرها هنا ، إضافة إلى أن سيرته صلى

---

(3) التفسير الكبير (186/15)

(1) سورة الأنبياء / الآية (107)

(2) سورة التوبة/ الآية (128)

(3) سورة الأعراف / الآية (156)

(4) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، الحديث (2355) ، وأحمد في مسنده : (4/ 138.395,405)

(5) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الأدب ، الحديث (5997) ، ومسلم في صحيحه/ كتاب الفضائل ، الحديث (2318) ، وأحمد (228,241,514/2)

الله عليه وسلم كانت تطبيقاً لهذه الرحمة حيث كان يؤذى من قبل قومه بشتى أنواع الأذى والإهانة ،ومع ذلك يمتنع عن أن يدعو عليهم ، أو يطلب من الله تعالى أن يهلكهم بصاعقة في الدنيا ، بل كان يدعو لهم ، ويرجو أن يخرج من أصلابهم مَنْ يعبد الله [1] ، وينتصر في فتح مكة ويرى كل أعدائه الذين آذوه فيقول لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[2] .

ومع كل ذلك لم ينج الإسلام من هجمات الأعداء ، فوصفوه بالقسوة في تشريعاته ولا سيما في الحدود ، وبالعنف في استعماله القوة ، وأنه انتشر بالسيف ، فدين تحتل الرحمة فيه هذه المكانة لا يمكن أن يجيز لأتباعه بإرهاب الآمنين الأبرياء .

2ــ الإسلام دين الأمن للإنسان ، والسلام لهذا الكون كله وأحد أسماء الله تعالى السلام ، وليلة نــزول القرآن هي ليلة السلام بنص القرآن الكريم (سلام هي حتى مطلع الفجر)[3] ، بل الإسلام مشتق من لفظ (السلم) وأن تحية المسلمين في الدنيا هي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، وتحيتهم في الجنة أيضاً السلام فقال تعالى : (وتحيتهم يوم يلقونه سلام)[4] .

وقد أمر الإسلام بالجنوح إلى السلم حتى مع الأعداء المحاربين ما داموا قد جنحوا إليها حتى ولو أرادوا الخداع ، ــ كما سبق ــ .

ودلت أحاديث كثيرة على حرمة ترويع المسلم وكذلك من يعيش على أرض الإسلام بأمان حتى ولو على سبيل المزاح والهذار فقد عقد المنذري في كتابه الترغيب والترهيب باباً مستقلاً للترهيب من ترويع المسلم ، ومن الإشارة إليه بسلاح ونحوه جاداً أو مازحاً [5]، ذكر فيه أحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه)[6] ، ومنها ما رواه أحمد والترمذي وأبو داود بسندهم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : (حدثنا أصحاب محمد أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه ، فأخذه ففزع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يحل لمسلم أن يرّوع مسلماً)[7] ، وفي حديث آخر رواه الطبراني بسند رواته ثقات عن النعمان بن البشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(لا يحل لرجل أن يرّوع مسلماً)[8] ، وفي حديث آخر رواه البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيّبها وهو يمزح ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا

---

(6) فقد ثبت في الصحيحين أن الله تعالى أنــزل إليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين إن أراد ، لكنه رفض ذلك ، ودعا لهم ، انظر صحيح البخاري /كتاب بدء الخلق ، الحديث (3231) ، ومسلم / كتاب الجهاد ، الحديث (1795)

(7) انظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ط.مكتبة المعارف ، بيروت (301/4) ، وقد روى أحمد في مسنده (135/5) ، والترمذي في السنن (361/4 ، 362) ، والحاكم في صحيحه في المستدرك (359/2) ، ووافقه الذهبي بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار العفو والصبر فقال : (نصبر ولا نعاقب)

(1) سورة القدر / الآية (5)

(2) سورة الأحزاب / الآية (44)

(3) الترغيب والترهيب،ط.قطر (483/3ــ487)

(4) صحيح مسلم ، الحديث (2616)

(5) مسند أحمد (362/5) ، وسنن أبي داود / كتاب الأدب ــ مع عون المعبود ــ (458/4) ، والترمذي / كتاب الفتن (329/6) ، والترغيب والترهيب (483/3)

(6) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (254/6) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات .

تروّعوا المسلم ، فإن روعة المسلم ظلم عظيم)[1] ، ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم أي مجال للتخويف حتى ولو بالنظر فقد روى الطبراني بسنده عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة)[2] .

وقد طبقت هذه التوجيهات في عصر الخلافة الراشدة حيث أرسل الخليفة عمر إلى امرأة مغيبة كان يدخل عليها ، فأنكر ذلك ، فقيل لها : إن عمر يدعوك قالت ويلها ، وما لها ولعمر ، فبينما في الطريق ضربها الطلق فدخلت داراً فألقت ولدها ، فصاح صيحتين ،ومات ، فاستشار عمر الصحابة فأشار إليه بعضهم وفي رواية هو عبدالرحمن بن عوف : أن ليس عليك شيء ، إنما أنت وال مؤدِّب ، فقال عمر : ما تقول يا علي ؟ فقال : (... أرى أن ديته عليك ، لأنك أفزعتها فألقت ولدها من سببك ، فأمر علياً أن يقيم عقله على قريش)[3] فهذا الأثر التطبيقي يدل بوضوح على أن الترويع حتى بالوسائل المعنوية يترتب عليه العقوبة في الدنيا أيضاً .

وقد شدد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على جمال الإنسان وعدم تشويه صورته حتى في القتال ، لأن الله تعالى خلق آدم على صورته ، ولأنه أكرمه وخلقه في أحسن تقويم ، فقد عقد مسلم في صحيحه باباً للنهي عن ضرب الوجه ، حيث روى بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قاتل أحدكم أخاه فلجتنب الوجه) وفي رواية أخرى عنه بلفظ (إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمنّ الوجه) وفي رواية أخرى عنه بلفظ (إذا قاتل أحدكم أخاه فلجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)[4] .

ومن المعلوم بين أهل العلم أن هذه الأحكام تعم كل إنسان آمن بريئ غير محارب للإسلام والمسلمين[5] ، حيث دلت آيات كثيرة وأحاديث صحيحة على حرمة الاعتداء على أي ذات روح ، بل على الجمادات والبيئة ، فالمسلم يجب أن يكون صالحاً مصلحاً نافعاً مفيداً غير مفسد .

فقد حرم الإسلام ترويع الحيوانات وايذاءها فقد روى البخاري ومسلم بسندهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)[6] .

ورويا أيضاً عن ابن عمر أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً)[7] . ورويا أيضاً عن أنس قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم)[8] .

وعقد مسلم باباً خاصاً للنهي عن ضرب الحيوان في وجهه ، ووسمه فيه حيث روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ عليه حمار قد وسم في وجهه ، فقال : (لعن الله الذي وسمه)[9] ، وبهذا حافظ الإسلام حتى على جمال الحيوانات وعدم إيذائها ولذلك ورد في رواية لمسلم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن

---

(7) الترغيب والترهيب (484/3)
(8) صحيح مسلم (2016/4 ــ 2017) الحديث (2612) برواياته الست .
(9) رواه عبدالرزاق في مصنفه (458/9) والشافعي في الأم (11/6) ويراجع : تلخيص التحبير ،ط.قطر (69/4)
(1) صحيح مسلم ، كتاب البر (2016/4 ــ 2017) الحديث رقم 2612
(2) يراجع : دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (604/4)
(3) صحيح البخاري (254/6) ، ومسلم ، الحديث (2242)
(4) صحيح البخاري (554/9) ، ومسلم ، الحديث (1958) ، والغرض هو الهدف
(5) صحيح البخاري (553/9 ــ 554) ن ومسلم ، الحديث (1956) ومعناه أن تحبس للقتل .
(6) صحيح مسلم ، كتاب اللباس (1673/3) الحديث (2117)

الضرب في الوجه ، وعن الوسم في الوجه[1] ، ولم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفجع بطير حيث روى أبو داود والحاكم ، وغيرهما عن ابن مسعود قال : كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حمَّرة معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمَّرة فجعلت تعرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (من فجع هذه بولدها ؟ ردّوا ولدها إليها ...)[2] .

فقد سدّ الإسلام باب التخويف والإرهاب والإيذاء سداً محكماً فحرّم كل أنواعه وأشكاله سواء كان بطريق الجدّ ، أو الهزل ، ولم يكتف بالتحريم ، واللعنة ، والبعد عن رحمة الله تعالى ، والعذاب بالنار لهؤلاء المعتدين والمؤذين والمخوفين المروعين ، وإنما شرع عقوبات كالقصاص والحدود لأجل حماية دين الإنسان ، ونفسه ، وعقله ، وعرضه ، ونسله ، وماله ، وأمنه النفسي والاجتماعي ، كما شرع عقوبات تعزيرية تكميلية تخضع لاجتهاد القاضي لحماية هذه المقدسات ولتحقيق الأمن والسلام للجميع حتى للحيوانات بكل الوسائل المتاحة .

الترويع أو الإرهاب لم يكن من سمت المسلمين بل من صفات الغلاة :

حينما ندرس التأريخ الإسلامي بدءاً من الخلافة الراشدة نجد بوضوح أن الترويع للآمنين الأبرياء لم يكن من صفات المؤمنين الصادقين ، بل كان سمتهم الرحمة ،وإذا كان هناك من يستحق عقوبة فإن ذلك يتم عن طريق الإجراءات القضائية بضوابطها .

كما أن ميزان الحرب له خصوصيته ومع ذلك فقد فرض مجموعة من الضوابط الأخلاقية والإنسانية في حالة الحرب (كما سيأتي) .

وإذا وجد نوع من الترويع في التأريخ الإسلامي فإنه يعود إلى بعض الجماعات المنحرفة الغالية ، أو المتطرفة ، فقد قال أحد العلماء الكبار في القرن الثالث الهجري : (وقد انزعج كثيراً من أقوال بشار بن برد وأشعاره الإلحادية) : (أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه)[3] .

وكان ديدن الغلاة أن اتخذوا الاغتيال سبيلاً للقضاء على مخالفيهم ، فظهرت فرق منهم الخناقون كالمغيرية ، والمتصورية في الكوفة أواخر الدولة الأموية [4]، يقول النَّوْبختي عن أبي منصور العجلي رئيس فرقة المنصورية : إنه (كان يأمر أصحابة بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ، ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه ، فإن هذا جهاد خفي)[5] .

وذكر الجاحظ وسائل هؤلاء الخناقين وصورهم في القتل والتعذيب عن طريق الخنق والتشميم ، وعن طريق الحبال ، والكلاب ونحوها [6].

---

(7) المصدر السابق نفسه

(2) رواه أبو داود بسند صحيح ، الحديث (2675) ، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (239/4) ، والبخاري في الأدب المفرد (382) ، ويراجع لهذه الأحاديث : رياض الصالحين للنووي بتحقيق الشيخ شعيب أرنؤوط (454 ــ 455)

(1) الكامل للمبرد (194/3)

(2) د.قحطان الدوري : ورقته عن الارهاب ، المطبوع ضمن كتيب بعنوان الدين والارهاب ، ط. الرشاد بغداد ص17

(3) فرق الشيعة للنوبختي (ص54)

(4) انظر التفصيل في د. عبدالعزي الدوري : الجذور التأريخية للشعوبية (ص87 ، 89)

وقد عاثت فرق الغلاة والباطنية فساداً في الأرض في القرنيين الخامس والسادس الهجريين ، فاغتالوا خيار الحكام والدعاة والعلماء ، بل استفحل أمرهم حتى دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دماء الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المشرفة [1].

كما أن رأس الباطنية في القرن السادس الهجري حسن الصباح قد أثار الرعب في العالم الإسلامي واتخذ لنفسه قلعة سميت بقلعة الموت وكوّن فرقاً لاغتيالات بعض كبار العلماء والوزراء لنظام الملك وغيره [2].

الإرهاب في العصر الحاضر :

يشير كثير من المفكرين إلى أن مفهوم الإرهاب أخذ يتبلور بعد قيام الثورة الفرنسية ، حيث ارتكبت ممارسات قمعية لتصفية أعداء الثورة ، وإرهاب الآخرين للحيلولة دون التصدي لها ، وهكذا عرف حكم الإرهاب في فرنسا فيما بينهم 1792/8/10م و 1794/2/27م [3].

وكانت أول حركة منظمة أطلق عليها اسم (إرهابيين) في التأريخ هي حركة اليعاقبة الجدد اللذين كانوا من أنصار الدولة القمعية [4].

صور الإرهاب :

والإرهاب قد يكون فردياً ، أو جماعياً ، وقد تكون دوافعه سياسية ، أو دينية ، أو اقتصادية أو اجتماعية ومعظم أشكاله اليوم تكمن في احتجاز الرهائن ، وخطف الطائرات ، وقتل الآمنين الأبرياء وبالأخص النساء والأطفال ، وزرع المتفجرات وجرائم القتل المنظمة ، والسرقات الكبيرة التي تستهدف مرافق الدولة الحيوية ، والمصارف ، وكذلك جرائم التخريب للمنشآت الحيوية كالماء والكهرباء والجرائم الاقتصادية المنظمة التي تستهدف تحطيم اقتصاد البلد وانهاك قواه .

ومن الصور المعنوية للإرهاب إحداث الخوف والرعب في قلوب الناس لزعزعة عقيدتهم ، والتأثير على معنوياتهم وتحويل ولائهم وغسل أدمغتهم وتكوين منظمات سرية غير مشروعة لإثارة الرعب والفزع بين الناس عن طريق التهديد والوعيد[5] .

وقد شهد القرن العشرين أعنف مظاهر العنف والإرهاب داخل العالم الإسلامي ، والعالم الغربي ، والشرقي بل العالم كله ، فهو أحد مظاهر القرن ومعالمه وحقائقه ، وأهم مظهر من مظاهر الجريمة السياسية .

ونظراً لحضور الإرهاب الدولي واثاره على الأمن والسلام الدوليين انعقد اجماع المجتمع الدولي على محاربة الإرهاب الدولي وتحريمه ، ومع ذلك ازدادت جرائم الإرهاب الدولي في العقود الأخيرة ففي 1969/12/3اقتحمت مجموعة من أربعين صهيونياً مقر الوفد السوري في الأمم المتحدة وعاثوا فيه فساداً ، وفي عام 1970 وقعت عمليات اختطاف واغتيال للدبلوماسيين الأمريكيين في أمريكا الجنوبية ، وغيرها ، وكثر اختطاف الطائرات من

---

(5) يراجع : البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق د. عبدالله التركي ط.هجر (636/14) ، والمنتظم (292/12)

(6) يراجع : البداية والنهاية (16/ 175)

(7) د. صباح كرم : تحديد أفضل الوسائل والأساليب لمكافحة الإرهاب (ص8) بحث مقدم إلى مجلس وزراء الداخلية العرب في تونس عام 1986 ، ود. رشدي عليان : ورقة عن الإرهاب ، ضمن كتيب : الدين والإرهاب ط.الرشاد م بغداد (ص23) .

(8) د. رشدي عليان : المرجع السابق نفسه ، ومصادره .

(1) د. صباح كرم : المرجع السابق (ص20) ، ود. رشدي عليان (ص23)

قبل منظمات إرهابية ، وتفجير المتفجرات في المكاتب ، وفي 1979/11/4 قامت مجموعة من الطلبة الإيرانيين بالاستيلاء على مبنى السفارة الأمريكية واحتجزت كل من فيه رهائن ظلوا هكذا أكثر من عام .

وفي 1988/4/5 اختطفت طائرة كويتية طالب مختطفوها بإطلاق سراح (17) سجيناً في الكويت ، ومع تعثر المفاوضات نفذوا تهديداتهم بقتل أحد الرهائن الكويتيين وإلقاء جثمانه على أرض المطار ، ثم قتلوا رهينة كويتية أخرى بصورة وحشية اشمأزت لها النفوس ، ثم بعد (16) يوماً سلموا أنفسهم إلى السلطات الجزائرية .

وفي 1988/12/21 فجرت الطائرة التابع لشركة بان أمريكان فوق لوكربي باسكوتلندا مما أسفر عن مقتل (270) شخصاً [1].

وفي عام 1998 فجرت السفارتان الأمريكيتان في نيروبي ، واستمرت سلسة الإرهاب والعنف التي كانت أقواها وأخطرها ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر الذي غيّر معالم العالم والتحالفات الدولية ، وبدأ عصر جديد من العلاقات الدولية سيطرت فيها أمريكا كقطب واحد على مقاليد الأمور ، وأعلنت الحرب العالمية الثالثة على ما يسمى بالإرهاب التي لا تــزال تداعياتها ماثلة للعين حتى الآن .

آثار الإرهاب :

1. زعزعة الأمن والاستقرار وإراقة دماء الأبرياء والآمنين بدون تحقيق أي هدف ، أو فائدة .
2. التكاليف الباهضة بسبب تكاليف الاحتياطات الأمنية والتامين ضد حوادث الإرهاب حيث تصاعدت إلى أرقام خيالية تقدر البلايين .
3. ضعف الاقتصاد القومي ، وضرب مقدماته ، وبنيته ، وعرقلة التنمية والنمو الاقتصادي .
4. انشغال الأمة بعضها ببعض وبالتالي استمرارية التخلف في الأمة الإسلامية وتفرقها وتمزقها .
5. استغلال الدول القوية الطامعة الإرهاب وتصرفاته لاحتلال البلاد الإسلامية والهيمنة على ثرواتها وخيراتها ، كما نشاهد ذلك اليوم بوضوح في الاونة الأخيرة .

أسباب الإرهاب والعنف باسم الدين :

لا شك أن هناك أنواعاً كثيرة من العنف والإرهاب تقوم بها العصابات الخاصة بالنهب ، والمافيا ، والمخدرات فالبحث عن هذا النوع خارج عن موضوعنا ، وإنما حديثنا منصَب حول الإرهاب والعنف باسم الدين .

وعند التعمق والبحث والتحليل في الوقائع الإرهابية التي وقعت في الماضي والحاضر باسم الدين نجد أن هناك ارتباطاً وثيقاً بينها وبين الحركات المتطرفة الغالية في كل الأديان السائدة .

فللصهيونية العالمية دور كبير في العنف والعنف المضاد وبالأخص في فلسطين ، وللكنيسة حينما تطرفت وخرجت عن سمتها دور كبير في الإرهاب الفكري للعلماء الغربيين ، حيث أقامت لهم محاكم التفتيش وحكمت على الكثيرين منهم بالاعدام ، أو الحرق لمخالفتهم آراء الكنيسة ، ولا أحد يستطيع أن يحص جرائم الصليبيين في الاندلس (اسبانيا وبرتغال) في حق المسلمين واليهود ، وكذلك ارتبط العنف في المجتمع الإسلامي بالحركات

(2) د. أحمد محمد رفعت ، ود. صالح بكر الطيار : الإرهاب الدولي ، ط. مركز الدراسات العربي الأوربي 998 (ص 14 ــ 16)

المتطرفة الغالية كالخوارج ، والقرامطة والباطنية بجميع فرقها ، ثم إلى الحركات المتطرفة المعاصرة التي أباحت الدماء وسفكتها دون تحقيق أي هدف نافع .

أسباب التطرف الديني :

التحذير الشديد من الغلو (مجاوزة الوسطية)

فلا نجد ديناً أو نظاماً أولى عنايته بمحاربة التطرف والغلو والافراط والتفريط في كل شيء مثل الإسلام ، فقد شنّ عليه حرباً ، وحذر منه تحذيرات شديدة ، فقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب الذين غلو في دينهم بغير حق ، وترهبوا أو ابتدعوا الرهبانية وترك الدنيا وطيـــباتها فقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق)[1] وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك مَنْ قبلكم بالغلو في الدين)[2] قال الإمام ابن تيمية : (قوله " إياكم والغلو في الدين " عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال ، والغلو : مجاوزة الحد .... والنصارى أكثر غلواً في الاعتقاد والعمل من سائر الطوائف)[3] .

وقد ذكر الرسول عاقبة وخيمة لأهل الغلو والتطرف وهي الهلاك في الدين والدنيا حيث قال : (هلك المتنطعون)[4] ثلاث مرات قال الإمام النووي:أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم) .

ولذلك دعا الإسلام إلى الوسطية ، وجعل هذه الأمة أمة وسطاً فقال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[5] ، ولذلك علمهم منهج الوسطية في العبادات والعقائد والعادات والملبس والمأكل والمشرب ـــ كما سبق ـــ ، وجعل شعارهم (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة)[6] ودعا إلى التمتع بالدنيا وملذاتها بالحلال ، وأنكر على من يقول بأن الزينة محرمة فقال (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي خالصة)[7] وقال أيضاً : (ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض)[8] .

وأوضح الرسول منهجه وطريقته في التعامل مع أمور الدنيا حينما سمع أن بعضهم يريد الابتعاد عن أكل اللحم ، وعن الزواج ، والنوم في الليل فقال : (ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا ...لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب سنتي فليس مني)[9].

بين التطرف والتمسك :

---

(1) سورة المائدة / الآية (77)

(2) رواه أحمد في مسنده ( ) ، وابن ماجه ( ) ، والنسائي ( ) ، والحاكم في المستدرك ( ) ، وصححه ونقل المناوي في الفيض (126/3) عن ابن تيمية قوله : هذا اسناد صحيح على شرط مسلم .

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( )

(4) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب

(1) سورة البقرة / الآية (143)

(2) سورة البقرة/ الآية (201)

(3) سورة الأعراف / الآية (32)

(4) سورة القصص / الآية (77)

(5) الحديث صحيح متفق عليه عن عائشة

ومن الضرورة الإشارة إلى أن التمسك بالكتاب والسنة ، أو بالأحوط من آراء الفقهاء ليس تطرفاً ، وإنما التطرف هو التجاوز عن الحد الوسط مع التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود ، وقد يؤدي ذلك إلى التكبر أو الاعتداد بالذات أكثر من لازم ، فقد سمعنا بعضهم (وهم لا يزالون محتاجين إلى فهم النصوص الشرعية) يقولون : (هم ــ أي أبو حنيفة ومالك والشافعي ونحوهم ــ رجال ، ونحن رجال)

ومن مظاهر التطرف أيضاً : التزام التشدد على النفس ، والتشديد على الغير في غير محله وإلزامهم بما لم يلزمهم الله به في حين أن الإسلام دين التيسير في الأحكام ، والتبشير في الدعوة فقال صلى الله عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) [1].

ومن مظاهره أيضاً الغلضة والخشونة في التعامل ، وهم يخطئون في الاستشهاد بآية نزلت في حالة الحرب مع الأعداء (وليجدوا فيكم غلظة) [2].

ومن مظاهره أيضاً سوء الظن بالناس ، والتساهل في غيبتهم من باب الجرح والتعديل في حين أن من أخلاق الإسلام حسن الظن بهم والتماس الأعذار لهم .

ومن مظاهره الخطيرة السقوط في هاوية التفسيق والتكفير للمخالفين لهم ، وحينئذٍ تكون الكارثة حيث حينئذٍ تسقط عصمتهم وتسفك دمائهم [3].

الأســـــباب :

فقد اختلفت وجهات نظر الباحثين والسياسيين في أسباب التطرف الديني ، والعنف باسم الدين ، فمنهم من يرجعها إلى أسباب اقتصادية من الفقر والبطالة ، ولكنها تضعف وجاهة هذا السبب أن التطرف ليس بين الفقراء والعاطلين فقط ولا في الدول الفقيرة فحسب ، وإنما يشمل الأغنياء والدول الغنية أيضاً ، فكان أول تطرف ظهر في العقود الأخيرة كان في جماعة جهيمان الذين احتلوا الكعبة المشرفة وأراقوا فيها الدماء ، ولم يكن دافعهم القضية الاقتصادية .

ومنهم من أرجع ذلك إلى أسباب نفسية أو اجتماعية أو فكرية ، أو نحو ذلك .

ولكن التحقيق هو النظرة الشمولية إلى الأسباب ، بأن كل هذه الأسباب وغيرها كان لها دور في إيجاد التطرف وتوسيع دائرته[4] ويمكننا أن نقسم هذه الأسباب إلى قسمين : أسباب داخلية داخل الجماعات المتطرفة أنفسها ، وأسباب خارجية ، فأما الأسباب الداخلية فهي :

1 ــ الجهل المركب وعدم الفقه في الدين :

أي أن الشخص في حقيقته جاهل ، ولكنه يجهل أيضاً أنه جاهل ، أو بعبارة أخرى أنه يظن أنه قد بلغ مرتبة الاجتهاد ، فيجتهد ، ولكنه في الحقيقة هو لم يبلغ تلك الدرجة ، وقد نبه على ذلك الإمام الشافعي حيث جعل أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفرق الأمة شيعاً وجعل بأسها بينها شديداً : أن يعتقد الإنسان في نفسه ــ أو يعتقد فيه ــ أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ، وهو لم يبلغ خلافاً .... فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها ، حتى يعبر منها ما ظهر له بادي رأيه من غير إحاطة بمعانيها ، ولا

---

(6)

(7) سورة التوبة / الآية (123)

(8) يراجع : الشيخ يوسف القرضاوي : كتابه القيم " الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف " ط.الأمة بقطر 1402هـ

(1) يراجع لمزيد من التفصيل : الشيخ العلامة القرضاوي : المرجع السابق (ص 62) وما بعدها

رسوخ في فهم مقاصدها ، وهذا هو المبتدع ، وعليه نبه الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقبض الله العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1] .

2 ــ الأخذ بشكل النص دون مقاصده وعلله ومناطه وبالتالي عدم التفقه في النصوص الشرعية .

3 ــ ضعف المعرفة بالتأريخ والفق وسنن النصر والهزيمة ، وسنن الكون والحياة والأمة ، وسنة التدرج وسنة الأجل المسمى (أي الوقت المناسب) .

4 ــ اتباع المتشابهات وترك المحكمات والتباس المفاهيم ، والاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى .

5 ــ الاسراف في التحريم ، وفي تجريح الآخرين ، وتفسيقهم بل وتكفيرهم .

فقد حدثني أحد الأساتذة في جامعة الكويت فقال : لقد ناقشني أحد الطلبة في الجامعة فقال : إن الشيخ (أحد الدعاة الكبار المعروفين) يكفر بسبعة عشر خطأ ، ويفسق بستين خطأ ، فقلت له : هل يمكن سردها ؟ ، قال : فبدأ بسردها واحداً تلو الآخر ، فقلت: هل كان منهج السلف هكذا؟! لو حفظت بدل هذا آيات ، أو أحاديث ، أوما كان أحسن لك ؟! .

وأما الأسباب الخارجية (أي خارج جماعة المتطرفين) فتعود إلى ما يأتي :

1 ــ غربة الإسلام في ديار الإسلام ، حيث يرى المسلم في دار الإسلام أن الفساد يستشرى والباطل يتبجح ، والعلمانيين يبوحون بكل ما يريدون ، والخمر تشرب ، والفواحش ترتكب جهاراً ، والأفلام الداعرة تنشر ، والمسرحيات والتمثيلات تتال من الإسلام ناهيك عن استعراضها للفساد والمتبرجات .....

ويرى المسلم أن معظم الدول بنص دستورها علىالإسلام ، في حين لا يطبق شرع الله في معظم مجالات الحياة ن بل تقنن قوانين تبيح ما حرمه الله من الخمور والزنا ونحوها ، ومن جانب آخر يرى أن معظم الحكام لا يولون عنايتهم الخالصة بقضايا الأمة ن بل خائضون في ملذاتهم ولهوهم في حين أن الشعوب المسلمة في محن ومصائب ومشاكل وفي فقر ....؛ كما يرى الظلم الاجتماعي على أشده ، وأن استغلال المناصب للإثراء بدون سبب مشروع ، فاللصوص الكبار يتمتعون بالحرية والتكريم واللصوص الصغار قد يتعرضون للعقاب .

فالشاب المسلم الملتزم حينما يرى هذا التناقض الغريب إذا لم يكن لديه الفقه المكين يتجه نحو التشدد وتكفير المجتمع .

2 ــ الهجوم العلني على الإسلام ، وإعلان الحرب ضده دون عناية من معظم الحكام بهذه الهجمات الخطيرة .

3 ــ مصادرة حرية الدعوة وعدم افساح المجال للدعوة والدعاة حيث إن الحديد لا يفله إلاّ الحديد ، فلو كان هناك مجال للدعوات الإسلامية المعتدلة كان بوسعها إقناع الشباب بالمنهج الوسطي المعتدل .

4 ــ الاستبداد والقهر السياسي والتعذيب للدعاة :

فالاستبداد دائماً يولد العنف لدى الآخرين ، ويجعلهم لا يفكرون في وضح النهار ، وإنما في جنح الليل وفي الظلام الدامس وفي الأماكن السرية فتنمو الأفكار المتطرفة في هذه الأجواء الكابتة.

فقد منعت الدعوة الإسلامية أن تقوم بعملها جهراً ، فاضطرت للعمل السري ، بل رأى الشباب المسلم حينما سجن كيف يعذب الدعاة بألوان من الإيذاء والعذاب ما تقشعر من ذكره الأبدان ،وما يشيب من هوله الولدان ، فقد شويت الأجسام الغضة بالكرابح شياً ، وكويت بالنيران وأعقاب السيكاير كياً ، وعلق الرجال من

---

(2) الاعتصام (173/2) والحديث رواه البخاري في صحيحه ــ مع الفتح ــ ( ) ، ومسلم ( )

أرجلهم كما تعلق الذبائح يتناوبهم الجلادون واحداً بعد الآخر ، كلما تعب أحدهم أخذ منه الجلاد الآخر ، حتى يصير الجيم كومة من الدم والقيح والصديد ، وكم من أناس سقطوا شهداء تحت العذاب لم يرق لهم ولم يعبأ لهم القساة الجبارون الذين لم يخشوا خالقاً ولم يرحموا مخلوقاً ، ولم يفكروا في محاسبتهم .

لقد استخدم في حق الشباب والدعاة المسجونين كل ما عرفته النازية والفاشية والشيوعية وزادوا على ذلك بأساليب ابتدعوها في إيذاء الأبدان ، وتعذيب النفوس وسل الأمخاخ ، وإهدار الآدمية[1].

في داخل هذا الأتون لتعذيب البشر ولد التطرف عملاقاً ، وظهر التكفير ، حيث ظهرت جماعة التكفير والهجرة داخل السجون ، ورد عليهم الأستاذ الهضيـــبي في كتابه (دعاة لا قضاة) حيث بدأ هؤلاء المعذبون بسؤال بسيط لأنفسهم : لماذا هؤلاء يعذبوننا هذا العذاب الأليم ؟ لِمَ كل هذا التعذيب ؟ وأي جريمة اقترفناها غير أننا قلنا ربنا الله ومنهجنا الإسلام ودستورنا القرآن فوصلوا إلى أن هؤلاء الوحوش الكاسرة التي نهشت لحومنا كافرة وأن هؤلاء الحكام من ورائهم الذين لا يحكمون بما أنزل الله بل يعذبون من يطالب بذلك .... كفار فسقة فجرة ..... هكذا تأصل التكفير والتطرف .

5 ــ الكيان الصهيوني واحتلال قبلة المسلمين الأولى :

ومن أهم أسباب التطرف والعنف والإرهاب وجود العدو الصهيوني على الأراضي الفلسطينية العربية المسلمة ، وما تعبث فيها من تقتيل وتشريد دون رعاية لهذه الأمة ، ولا احترام لأي قرار للأمم المتحدة ، ومع ذلك يقف معهم العالم الغربي وبالأخص أمريكا .

يعود الصراع الحاد داخل العالم الإسلامي إلى الاتيان باليهود وزرعهم في فلسطين ، ثم احتلالهم لها باسم الدين ، حيث تعتقد اليهود أن فلسطين كلها أرض الميعاد هي أرضهم المقدسة وأن هجرتهم إليها تعبير عن إرادة الله ، معتمدين على التلمود الذي يعتبر فلسطين نقطة الارتكاز للسيطرة على العالم ، لأنها هي قطب العالم الذي يجب أن تقوم فيه الدولة العبرية ، واستطاعت الصهيونية العالمية من خلال مؤتمراتها وبالأخص مؤتمر بازل في عام 1897م أن تستغل العاطفة الدينية الكامنة لدى اليهود وتسخيرها لخدمة مطامعها السياسية الاستعمارية حتى أصبحت أرض الميعاد من أهم أسس الصهيونية ومقوماتها ، وتمسكت بالوعود التوراتية لأرض الميعاد وحدودها والتوسع فيها ، حيث يقول بن غوربون في الكتاب السنوي لعام 1951 : (الآن فقط وبعد سبعين سنة من كفاح الرواد استطعنا أن نصل إلى أول استقلالنا في جزء من وطننا العزيز) لم يكتف بذلك بل دعا إلى التوسع معتمداً على نصّ من التوراة يخبرهم بأن (كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم) [2]، وقال ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (لا يزال هناك عشرون ألف كيلو متر من فلسطين القديمة لم نضع أيدينا عليها حتى الآن) [3]، وقد فسر إيريك رولو المحرر السياسي لصحيفة اللوموند الفرنسية في عدد صادر قبيل عدوان حزيران 1967 (قول أشكول بأنه يقصد أن جزءاً من العراق وسوريا ، وكافة الضفة الغربية وشرق الأردن هي أجزاء فلسطين القديمة التي يحلم أشكول أن يضع يده عليها) [4].

والمقصود بذلك أن احتلال الأراضي الفلسطينية من قبل الصهاينة أدى إلى انفجار الوضع في فلسطين التي كانت أهلها آهلة بسكانها الفلسطينيين فنشب الصراع الدموي بين الطرفين ، واستعملت اليهود كل الوسائل

---

(1) الشيخ القرضاوي : المرجع السابق (ص 126)

(1) التوراة سفر تثنية 11 ، 24 ، ويشوع 1 ، 3

(2) د. سعدون محمد الساموك : ورقته عن الصهيونية والإرهاب المطبوعة ضمن كتيب : الدين والإرهاب ط. الرشاد / بغداد ص49)

(3) المرجع السابق مع مصادره

القاسية والإرهابية لطرد الفلسطينيين وبناء المستعمرات ، وإحلال اليهود مكانهم ، ونشأت من ذلك عصابات صهيونية عاثت في الأرض فساداً ونشرت العرب بين الامنين .

والصهيونية السياسية طورها ثيودورهرتزل (1860 ــ 1904م) حيث بدأ بصياغة مذهبها في فينا منذ عام 1882م ثم انتهى بإرساء نظامها عام 1894 في كتابه الدولة اليهودية ، ثم بدأ بوضعها موضع التنفيذ في أول مؤتمر صهيوني عقد في مدينة بال بسويسرا عام 1897 .

والصهيونية انطلقت من النصوص التوراتية (أعني حرفت) فبررت كل ما قام به الصهاينة بنصوص توراتية ، ينــزلها حاخاماتهم على الوقائع الجارية وإن كان بتكلف ، فالعودة وحدود أرض إسرائيل والاحتلال كل ذلك مبرر بتبريرات دينية يقول الاستاذ جارودي : (وفي المرحلة الحالية للتوسع الصهيوني يسهم الخبال المجنون لحاخاماتهم الأحزاب الدينية من غلاة الداعين إلى الغزو في تبرير أغني المقامرات العسكرية الإسرائيلية وفي تأييد مطالب أكثر المتعصبين طغياناً وليس من قبيل المصادفة ما واكب الغزوة الدموية للبنان من تصريحات لبيجن معلناً فيها أن طائراتنا لن تحلق في يوم السبت احتراماً لذلك اليوم المقدس .. . ؛ لذلك لا يقتصر الحاخامات على القول بأن لبنان المحتلة هي أرض قبيلة (عاشو) بل ذهبوا إلى حد اعتبار المذابح مشروعة دينياً من أجل متطلبات القضية ، فتدمير مدينيتي صور وصيدا ودك بيروت بالقنابل ، ومجازر صبرا وشاتيلا لم تكن فقط امتداد لمذابح دير ياسين التي ارتكبتها عصابات السيد بيجن عام 1948 المعروفة باسم (إرجون) ومذابح قبية وكفر قاسم ...)[1] .

لذلك نرى الحاخام (العازر والدمان) يكتب في جريدة (نكودة) في مقال عنوانه (قوة الانجاز) فيأتي بالسند الديني لسياسة شارون وبيجن ، ومفسراً ذلك باستشهادات من التوراة ، وموضحاً أن إسرائيل باحتلالها لبنان قد قامت ببدء الخلاص للعالم [2].

فالصهيونية في حقيقتها ليست مجرد دين ، ولكن دين وقومية ومذهب وسياسة ، وأن اليهود شعب الله المختار[3] فهذه النزعة العنصرية جعلت اليهود ينظرون إلى بقية الشعوب باعتبارهم أقل شأناً ، بل يعتبرونهم كأنهم عبيد لهم ، وقد نقل الدكتور إريك يسكوف المتخصص في دراسة تعاليم اليهود نصاً معناه : (إن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات .... والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودي وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا العظيم) [4].

الإرهاب والعنف بين اليهودية والنصرانية والإسلام / نظرياً وتطبيقياً :

لا شك أن الأديان السماوية في أصلها رحمة للإنسانية وهدى ورحمة وذكرى للإنسان ، هكذا وصف القرآن الكريم جميع الكتب السماوية الصحيحة ، حيث يقول تعالى عن التوراة : (إنا أنــزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ....) [5]، وعن الانجيل قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)[6].

---

(4) روجيه جارودي : ملف إسرائيل ط.دار الشروق 1983 (ص20ــ21)

(5) المصدر السابق (ص20)

(1) فتحي الرملي : الصهيونة أعلى مراحل الاستعمار ط.وزارة الثقافة بمصر (ص91)

(2) عبدالله التل : حضر اليهود العالمية على الإسلام والمسيحية ط. المكتب الإسلامي (ص79)

(3) سورة المائدة / الآيات (44 ، 46)

(4) المصدر السابق نفسه

ولكن الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم قد ضاعت معظم معالمها بين التحريف المتعمد ، وبين النسيان الذي طرأ بعد نزول التوراة التي كتبت بعد حوالي سبعمائة سنة ، التلمود بعد ألفي سنة [1]، ونحن في هذه الدراسة نعتمد على التوراة والأناجيل المتوافرة بين أيدينا التي يعتقدها اليهود والنصارى أنها كتبهم المنـــزلة .

التوراة والعنف :

ففي التوراة نصوص كثيرة تدعو بكب وضوح إلى الإبادة الجماعية بشكل غريب ، فقد جاء فيها : (إن مدن هذه الشعوب المورثة إليك من مولاك الرب هي الوحيدة التي لم تدع مخلوقاً حياً يعيش فيها ... بل ستجعلها محظورة على الحيثيين والعموريين والفريزيين كما أمرك الرب مولاك...)[2] ومنها : (الآن إذن اضرب آمالك ، واحظر عليه كل ما يملك ولا تترك له شيئاً ، اقتل الكل ، الرجال والنساء والأطفال والرضع والأبقار والخراف والجمال والحمير) [3].

يقول الفيلسوف الفرنسي جارودي : (وهذا التبرير التوراتي للقتل ، هذا الإضفاء للشرعية على العداوات المتتالية وضم أرض الغير .. يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً)[4] ، وجاء في التوراة (عددج55ع33 و 56 (إن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ، وماخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها) .

وفي سفر تثية ج7ع21ــ22 : (لا ترهب وجوههم لأن الرب إلهك في وسطك اله عظيم ومخوف ، ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا .. لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية .. ويدفع الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ، ويفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء) .

وفي سفر تثنية ج20ع10ــ17 : (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعوب الموجودة فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك وعملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعداءك التي أعطال الرب إلهك .. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم ها هنا،وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة واحدة) .

ونجد في التلمود نصوصاً تدل على تمايز اليهود عن غيرهم ، منها : (اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، فمن يصفع اليهود يصفع الله) !

وجاء في التلمود (سنهدين ص 22 ، 58) : (إذا ضرب أممي إسرائيلياً فالأممي يستحق الموت)! وجاء في تلمود اورشليم بالحرف (ص94) : (ان النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة .. حصان) ! ، ويعتبر التلمود أيضاً : (الأجانب ــ أي غير اليهود ــ كلاباً لأنه مذكور في سفر الخروج (12، 11) أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب) ! .

---

(5) انظر لمزيد من التفصيل " د. موريس بوكاي : التوراة والانجيل والقرآن والعلم ، ط.دار المعارف بمصر .

(6) نقلاً عما ذكره الأستاذ الجارودي : المرجع السابق (ص21)

(7) المرجع السابق

(8) جارودي : ملف إسرائيل (ص21)

وفي تفسيرات للرابي موسى بن نعمان ، والحاخام رشى لعبارة سفر الخروج : (إن الكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبي ، أو يعطيه لحماً بل يعطيه للكلب) !

ويقول الحاخام باربانيل : (الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية ، واما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير) ، ويقول الرابي مناحم : (أيها اليهود انكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله ، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة)! ، ويقول الحاخام أربل : (أن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة ، وإذا كان الأجنبي ــ أي غير اليهودي ــ قد خلق من على هيئة الإنسان فما ذلك إلاّ ليكون لائقاً لخدمة اليهود التي خلقت الدنيا لأجلهم)!! .

وبعض النصوص تدل على أن الله تعالى سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم ! حيث جاء في التلمود ما يفسر هذه العبارة...هكذا : (إذا سرق أولاد نوح ــ أي غير اليهود ــ شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً يستحقون الموت لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم ، وأما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الأممي لأنه جاء في الوصايا : "لا تسرق مال القريب" ... وكا دام موسى لم يكتب في الوصية " لا تسرق مال الأممي " فإن سلب ماله لا يخالف الوصايا .. حسب رأي علماء التلمود)! .

وجاء في التلمود أيضاً (أن الرابي صموئيل أحد الحاخامات المهمين كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاساً ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهماً آخر من البائع) ! .

يقول السير ريتشارد بورتون في كتابه : (اليهود ، النور ، والإسلام / ص 73) : (إن أهم نقطة في المتقدات اليهودية الحديثة هي أن الأجانب ــ أي غير اليهود ــ ليسو سوى حيوانات متوحشة حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة في الحقول) ويقول في (ص81) : (يقول التلمود : عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا " يهوه " إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية ، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا) .

ولليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة فيهما إلاّ بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية وهما عيد البوريم (Porim) في مارس كل عام ، وعيد الفصح في إبريل أيام عيد الفصح عند المسيحيين[1] .

ولقد دوّن الأستاذ أرنولد ليز أهم حوادث الذبح المشهورة لبنات وأطفال النصارى في أوربا على أيدي اليهود في كتاب نشره عام 1938 بعنوان (Jewich Ritual Murden) حيث كان معظمهم لأجل استنزاف دمه للفطائر الممزوجة بالدماء في هذين العيدين ، وزاد عددهم على خمسين طفلاً وبنتاً ، منها حادثة في عام 1144 في بريطانيا وجدت جثة صبي عمره (12) سنة في كيس ملقى تحت شجرة مستنزف دمه من جراح عديدة أيام عيد الفصح اليهودي ، ارتشى عمدة البلدة ، ولم يقدم للمحاكمة ، ولكن منحت الضحية لقب (القديس وليام) ، وفي عام 1255م في بريطانيا خطف اليهود طفلاً مسيحياً يدعى (Hugh) أيام عيد الفصح ، فصلبوه ، واستنزفوا دمه ، ثم عثر على جثته في بئر قرب منزل يهودي يدعى جوبين الذي اعترف على شركائه بعد أن وعده القاضي بالعفو عنه ، فجرت محاكمة (91) يهودياً أعدم منهم (18) ورفض الملك هنري الثالث العفو عن اليهودي الذي اعترف .

نظرة تحليلية :

(1) عبدالله التل : المرجع السابق (ص80)

لقد اختصر الأب بولس حنا النظرة الصهيونية إلى العالم في كتابه : "همجية التعالم الصهيونية" حيث يقول : (للنصراني إنجيل يبشر به العالم ، وللمسلم قرآن ينشره بين جميع الشعوب ، أما الإسرائيلي فله كتابان : كتاب معروف لا يعمل به ، وهو التوراة ، وآخر مجهول عند العالم يدعى "التلمود يفضله على الأول ويدرسه خفية وهو أساس كل مصيبة ") [1].

والعنصرية اليهودية هي مفتاح كل شرورهم وعدم اعترافهم بالغير ، وأن أموال الآخرين حلال لهم لأنهم سادة وغيرهم عبيد يعملون لهم والخطير إسناده ذلك إلى الله ، وتبريره على أساس ديني ونصوص من التوراة والتلمود كما قال الله تعالى : (ومنهم مَنْ إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهو يعلمون)[2] ، ويقول الأب بولس : (إن النصارى يؤمنون بأن الله أبو الجميع ، المسلمون يؤمنون بأن الله ربّ العالمين ، وأما الصهيونيون فلا يريدون الإله إلاّ لهم وحدهم ، ولهذا عرف عندهم أنه إله إسرائيل) [3].

قول حق يقتضيه الإنصاف :

على الرغم من تركيز الصهاينة على النصوص المتشددة في التوراة والتلمود في التشوه والعنصرية ، لكن التوراة لا تزال فيها نصوص تتحدث عن الرحمة في مجالات كثيرة ففي سفر الخروج (6:20) : (الرب يصنع رحمة إلى ألوف من محبيه وحافظي وصاياه) وفي سفر يونان (2:4) قال النبي مخاطباً : علمت أنك إله حنون رحيم طويل الأناة ، وكثير الرأفة ، ونادم على السرّ !)

وتكرر لفظ "رحوم" أربع عشرة مرة ولا سيما بمناسبة الضيق الذي يحس به الشعب في زمن المنفى [4] وفي المزمور (15:86) في وقت الشرّ والاضطهاد أطلق المؤمن صوته قال : (وأنت يا رب رحيم حنون طويل الأناة كثير الرأفة والأمانة) وفي سفر خروج (19:33) قال الرب : (اصفح عمن أصفح ، وارحم من أرحم) .

ولكن هذه الرحمة والرأفة الموجودة في العهد القديم فسّرها معظم اليهود بأنها خاصة بإبراهيم ، ويعقوب ، وأهل يابيش جلعا ، ومسيح الرب ، وداود ، وأيوب ، وراعوت ، وشعب الله [5] وإن كانت بعض النصوص عامة للضعفاء والمساكين ، واليتامى والأرامل والغرباء ، ونحو ذلك ففي سفر التثنية (19:10) (أحبوا الغريب فإنكم كنتم غرباء في مصر) .

فالتوراة والمزامير لا زال فيها نصوص تدل على الرحمة والرأفة وبالأخص بالمساكين والغرباء ولكن المهم هو التطبيق كما أن هذه النصوص غلبت بالنصوص الكثيرة الواردة في الشدة والقسوة والعنصرية .

---

(1) الأب وبلس حنا : همجية التعاليم الصهيونية ،ط.المكتب الإسلامي بيروت (ص10)

(2) سورة آل عمرن / الآية (57)

(3) الأب بولس حنا : المصدر السابق (ص10 ــ 15)

(4) بولس الفغالي : بحثه بعنوان : "رحمة الله للعالمين في العهد القديم" منشور ضمن كتاب : " الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام " ط.المكتبة البولسية 1999 لبنان (ص27)

(5) سفر تكوين 32 : 1، 2 ، ويراجع : بولس الفغاني بحثه السابق (ص44)

الجانب التطبيقي للإرهاب والعنف اليهودي :

إذا قرأنا تأريخ الصراعات والحروب لوجدنا أن لليهود دوراً بارزاً في هذا المجال فقد تعرضت اليهود لمحن كثيرة وحروب إبادة من قبل الرومان والفرس ، والنصارى ، وفي أماكن كثيرة ، ولكن اليهود أنفسهم لهم سجل خطير في الإبادة الجماعية ، والإرهاب والعنف على مرّ التأريخ ، معظمهم قساة حتى على أنبيائهم وصلحائهم ، فكانوا يمثلون النصوص التي ذكرناها من التوراة والتلمود ، حيث كانوا ينتقمون من الشعوب المغلوبة شرّ انتقام ، فقد جاء في شفر التثنية (قال الرب لا تخف فإني قد دفعته إلى يدك ... فأسلم الرب إلهنا إلى أيدينا عوج ملك باثنان أيضاً وجميع قومه وضربناه حتى لم يبق له باق .... رجالها ونساءها وأطفالها ...) وجاء في سفر يشوع من التوراة الإبادة الجماعية للبشر والبقر والغنم والحمير والنساء والأطفال وكل ما في مدينة أريحا ، فأحرقوها وما فيها بالنار إلا الذهب والفضة والنحاس فإنها جعلت في خزانة بيت الرب .

وفي سفر يشوع أيضاً من 1 ــ 27 يتحدث عن مجزرة بشرية بأمر الرب ــ حسب المذكور ــ بقتل آلاف من الأسرى (ولما فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العي في الصحراء والسرية رجع جميع إسرائيل إلى العي وضربوها بالسيف وكان جملة من قتل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً ....)

وإذا ألقينا نظرة على التأريخ المعاصر لوجدنا جرائم بشعة ارتكبها اليهود في فلسطين على أيدي عصابات فتاكة مثل عصابة إرجون زفاي ليومي برئاسة بيجن الذي وصفه بن جوريون نفسه بأنه هتلري بمعنى الكلمة ، يقول الفيلسوف جارودي : (وعندما قام بيجن بأول زيارة له إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، أرسلت جماعة من أعظم الشخصيات اليهودية ، على رأسهم أينشتاين رسالة إلى مدير النيويورك تايمز جاء فيها : (ليس من المتصور أن يقوم نفس الأشخاص الذين يعارضون الفاشية في العالم بتأبيد السيد بيجن إذا عرفوا بالضبط مراميه السياسية وانشطته المختلفة فهو زعيم حزب سياسي يشبه يتنظيمه وبأساليبه ، ومناهجه وفلسفته السياسية : الأحزاب النازية والفاشية ، فأعضاء حزبه ينتمون إلى عصابة : (إرجون زفاي ليومي المنظمة الإرهابية اليمينية المتطرفة في فلسطين ... ، وتصرف بيجن وأنصاره في قرية دير ياسين العربية دليل بشع على سياسته ....، ففي 1948/4/9 هاجم فريق من الإرهابيين تلك القرية الآمنة ، ولم يكن بها هدف عسكري ... وذبحوا كل سكانها تقريباً .... ويعرض الموقعون على هذه الرسالة بعض الحقائق ذات المغزى عن السيد بيجن وحزبه ، ويطالبون بإلحاح كل من يهمه الأمر أن لا يساند هذا الوجه الأخير من أوجه الفاشية) [1].

وأما شارون رئيس وزراء إسرائيل الحالي فتأريخه مليء بالإرهاب والدماء والمنهي بمذبحة صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها مئات الآلاف من السناء والأطفال والشيوخ ، فكانت أول هجمة له ولرجاله على قرية قبية الفلسطينية بالأردن وذلك في ليلة 14 ــ 15 اكتوبر 1954 وذبحوا ستة وستين من الأهالي ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال ، وقال مراقبوا الأمم المتحدة في تقريرهم لمجلس الأمن إنهم عندما وصلوا تلك القرية بعد ساعتين من المذبحة : (رأوا جثثاً متخنة بالرصاص ، وآثار عدد كبير من الرصاص على الأبواب والنوافذ في المنازل التي هدمت مما يدل على أن السكان قد حيل بينهم وبين مغادرة منازلهم المنهارة .... وتجمع شهادة الشهود في ليلة الرعب تلك على ان الجنود الإسرائيليين يضعون الديناميت في المنازل ....) [2] .

---

(1) جارودي : ملف فلسطين (ص181 ناقلاً عن كتاب الفريد ليلينتال (ص352) ، ويراجع : عبدالله التل : المصدر السابق (ص326)

(2) جارودي : ملف إسرائيل (ص182) ، وعبدالله التل المصدر السابق (326)

وذكر صحيفة (هاعولام) في عددها بتأريخ 1973/8/24 : (في حرب 1967 كان الجيش الذي هاجم سيناء تحت قيادة شارون وهو المسؤول شخصياً عن مصرع مئات من الجنود المصريين ، إذ رفض اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الخيرة للحرب ، لأن تعليمات موش ديان كانت : (تقضي بعدم الالتجاء إلى اسر الجنود المصريين في سيناء وتأمر بإبادتهم) .

ومن باب توزيع الأدوار لليهود كان اسحاق شامير هو المكلف بالعلاقة القوية بألمانيا النازية فكان أحد الزعماء الثلاثة في الجماعة المعروفة بـــ (مجموعة شتون) حيث اكتشف المؤرخ الألماني كلاوس بونحن أثناء اطلاعه على المحفوظات السرية للرابح الثالث ، حيث كان لهذه المجموعة خطة مع وزير خارجية ألمانيا عان 1941 لتشكيل دولة اليهود في فلسطين تكون مرتبطة بمعاهدة مع الرابح الألماني ، ولذلك قام شامير بتدبير قتل الوزير الانجليزي للشرق الأوسط اللورد موين في القاهرة على يد مجموعة شترن ، وقتل الوسيط الدولي برنادون في القدس فيما بعد [1].

وحينما اعترض بيريز على شارون عن مذبحة صبرا وشاتيلا قال شارون له بمكيال أكبر فقال : أين كنت حينما ذبح ألفا شخص في تل الزعتر ـــ حسب تقديرات الصليب الأحمر الدولي ـــ ألست وزيراً للدفاع وقمت بتسليح الكتائب المسيحية ؟ ! [2].

وقد عاث الصهاينة فساداً أو خوفاً بعد هجرتهم إلى فلسطين فنسفت عصاباتهم جسور سكك الحديد المركزية ، كما نسفت فندق الملك داود ، وخطفت عدداً كبيراً من الضباط والجنود الانجليز ، ثم استولت على الأسلحة والذخائر من مخازن الجيش والسويس تحت مرأى ومسمع كبار قادة الانجليز اليهود المنتدبين مثل الحاكم العام هريرت صمويل ، والنائب العام نورمان بنتوش ، ومدير غدارة الهجرة حايم سون [3].

وكانت في مقدم هذه العصابات : الأرجون ، وشترن اللتان كانتا تتنافسان على الزهو والافتخار على ما سجلته من بطولة في تنفيذ (عملية الذعر) التي كانت بموافقة بن غوربون والقيادة العسكرية ،وهي تقضي بالقيام بحملات دموية على مزارع العرب وقراهم ليضطروا إلى الفرار ، ولأدع الحديث لكاتب الأمريكي لورنس جريسولد في كتابه المعروف : (هذا سيف الله) إذ يقول : (... ففي فجر 19 إبريل 1948 بينما كان الفلاحون العرب ينصبون الخيام في سوق القرية زحفت دبابتان من طراز (شيرمان) إلى مداخل دير ياسين فمرت على جسدي اثنين من الفلاحين ... وخلفهما خمسمائة مسلح مزودين بالأسلحة .. فأطلقوا النار على الأهالي جميعاً ..)

وفي دير ياسين تكررت مذابح أريحا التي جاء وصفها في التوراة (واقتلوا كل من في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم ، والحمير بحد السيف) .

وكانت من قطائع دير ياسين أن النساء والأطفال يقتلون أمام الرجال ثم الرجال ويقطعون إرباً إرباً ، وبعد يومين دخل مندوب الصليب الأحمر الدولي فوجد في بئر قديمة مائتي جثة [4].

وقد كررت هذه العصابات هذه الفظائع في اكثر من قرية ومدينة مثل باقا ، وقرية بيت الخوري ، وقرية نصر الدين التي كانت ضحاياها بين قتيل ومشوه ألفا ومائتين دون قرية بيت دراس بقرت بطون النساء الحوامل

---

(1) مقال البروفيسور إسرائيل شاهاك في مجلة زوهدريك /عدد سبتمبر 1981 ، المشار إليه في ملف إسرائيل (ص185)
(2) جارودي : المصدر السابق (ص185)
(3) فتحي الرملي : المصدر السابق (ص128)
(4) فتحي الرملي (ص130) معتمداً على مصادر غريبة

أيضاً ، وذبح عدد من الأطفال ، أما قرية الزيتون فقد نسف مسجدها بكل من فيه أثناء الصلاة ، ومجزرة كفر قاسم التي راح ضحيتها 57 عربياً ، بينهم 17 من النساء والأطفال إضافة إلى جرح 25 شخصاً [1].

وتفخر جريد (مفراك) في 1948/9/7 التي تنطق بلسان شترن بنجاح هذه العمليات في ترويع العرب، وإجبار نحو مليون عربي على الفرار إلى خارج فلسطين ،واعتبرت عملية دير ياسين (معجزة أنزلت بالعدو أكبر ضربة شدت عزائمنا وقوّت معنوياتنا ، وهو انتصار لا تستطيع قوات الهاجاناه مجتمعة أن تحققه) .

وتحدثت جريدة نيويورك في 15 يونيو 1940 عن احتجاج الخارجية الأمريكية على ما قامت به هذه العصابات من مذابح بشعة ضد العرب ، فقالت : (إن لدى هيئة الأمم المتحدة صوراً تمثل بعض هؤلاء العرب وقد انتزعت أظافرهم وتلطخت أيديهم بالدماء ، وأخرى تمثل البعض الآخر وقد تهشمت عظامهم) .

ولذلك وصف المؤرخ البروفيسور الانجليزي آرنولد توبيني بعض هذه الجرائم بقوله : (أشعر بأن مأساة جرائم إسرائيل والصهيونية أعظم شأناً من مأساة جرائم ألمانيا النازية) [2].

وخلال الانتفاضة الأخيرة نشاهد جرائم بشعة يقوم بها رئيس الوزراء شارون وجنده ضد الشعب الفلسطيني من التدمير ، والاغتيالات ، والقتل والتعذيب ، وهدم مئات البيوت ، واستعمال أحدث الأسلحة المطورة من الطائرات والدبابات ضد شعب أعزل .

والغريب أن بعض زعماء إسرائيل مطلوبين لدى المحاكم البريطانية ومصنفين على قائمة الإرهابيين والمجرمين ، وكانت الحكومة البريطانية تخصص مكافأة مالية كبيرة لكل من يقدم معلومات تؤدي إلى القبض عليهم ، ومنهم مناحم بيجن ، واسحاق شامير ، فقد كشف يعقوب الياب الذي سجل في كتابه جرائم الأرجون ، وليجي في فلسطين ، وذكر أسماء 140 يهودياً مطلوباً للعدالة ، كما ذكر بعض الجرائم ضد الشعب الفلسطيني الأعزل [3].

حقيقة الصراع بين اليهود والمسلمين :

كانت اليهود قبل مبعث الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تبشر بمقدمه ، وتهدد المشركين بأنه إذا بعث خاتم الرسل فتكون معه ضدهم ، ولما جاءهم كفروا به كما سجل ذلك القرآن الكريم : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [4]، قال ابن عطية : (ان بني إسرائيل كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قد علموا خروجه بما عندهم من صفته وذكر وقته وظنوا أنه منهم ، فكانوا إذا حاربوا الأوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم : لو خرج النبي الذي أظل وقته لقتلناكم معه واستنصرنا عليكم به) [5].

---

(5) فتحي الرملي : المصدر السابق (ص131 ــ 132) ، وعبدالله التل : المصدر السابق (ص328)

(1) فتحي الرملي : المصدر السابق (ص132)

(2) يراجع لمزيد من التفصيل : جرائم الأرغون وليجي ، يعقوب الياب ، ترجمة غازي السعدي ، ط.دار الجليل / عمان 1985 ، وجارودي إسرائيل بين اليهود والصهيونية ، ط.دار التضامن 1990 .

(3) سورة البقرة / الآية (89)

(4) تفسير ابن عطية (389/1 ــ 390)

وقد أعطى القرآن الكريم صورة رائعة للأنبياء السابقين وبالأخص سادتنا إبراهيم ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وعيسى ، فذكر خصصهم ، وجعلهم قدوة للمسلمين فقال تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) [1].

وليكن الإسلام بدِعا من الأمر بل كان مثالاً للرسالات السابقة ، وخاتماً لها فقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ....)[2] وقال تعالى : (اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [3].

ومن الجانب العملي كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته لانتصار أهل الكتاب على المشركين ، فقد اغتم المسلمون بانتصار الفرس المشركين على الروم النصارى ، وفرحوا كثيراً بانتصار الأخير على المشركين ، حتى إن أبا بكر الصديق قد دخل في رهان مع المشركين حول ذلك فقد روى أحمد والنسائي وأحمد وابن جرير بسند قال فيه الترمذي (حسن صحيح) عن ابن عباس قال : (كان المشركون يحبون أن يظهر الروم على أهل فارس ، لأنهم أهل الكتاب ، فذكروه لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أما أنهم سيغلبون) فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلاً ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا (وفي بعض الروايات على أربعة قلائص أي فوق) ..... ؛ ثم جعل أبو بكر الزمن أقل من العشر بناء على أن (بضع ....) ما بين ثلاث إلى تسع ، فظهرت الروم بعد ، فذلك قوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنيين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم)[4] قال سفيان : (سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر) . وهذا يعني أن عاطفة المسلمين كانت بجانب أهل الكتاب (اليهود والنصارى) .

دستور المعايشة السلمية مع اليهود :

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة بدأ بكتابة صحيفة مع اليهود أعطاهم جميع المواطنة والمناصرة والمساهمة في الدفاع عن المدينة ، وتحديد الحقوق والواجبات ، حيث تنصّ بنودها على : (انه من تبعانا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم) وعلى : (أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم إلاّ من ظلم نفسه فإنه لا يوقع إلاّ نفسه وأهل بيته) ثم ذكر بقية قبائل اليهود ، ثم نصت على : (أن بطانة يهود كأنفسهم) ، وعلى : (أن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل ذمة هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الاثم) ، وعلى : (أنه لا يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم)[5] ، والخلاصة أن هذه الوثيقة التي هي بمثابة دستور للتعايش السلمي في المدينة أعطت الحقوق الكاملة لليهود ، لكنهم لم يقضوها ولم يلتزموا ببنودها ، بل خانوا العهد ، وتعاونوا مع القريش وغيرهم في القضاء على المسلمين مما اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه أن يتعاملوا معهم على هذا الأساس [6].

---

(5) سورة الأنعام / الآية (90)

(6) سورة الشورى / الآية (13)

(7) سورة المائدة / الآية (3)

(1) سورة الروم / الآيات (1 ــ 5)

(2) يراجع لتحقيق نصوص هذه الصحيفة وصحتها : أ.د. أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، ط.مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر 1991م (284/1 ــ 292)

(3) يراجع لمزيد من التفصيل : كل كتب السيرة ، وبالأخص د. أكرم العمري : المصدر السابق (299/1 وما بعدها)

ولم يحدث صراع حربي المسلمين واليهود فيما بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بل عاش اليهود في ظل الدولة الإسلامية منذ عصر الخلافة الراشدة ، والخلافة الأموية والعباسية والعثمانية متمتعين بجميع حقوقهم وحريتهم الدينية ، ومنحت لهم مناصب علمية وإدارية رفيعة وكانت لهم مساهمات في العلوم والحضارة الإسلامية إلى أن بدأت الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر بالتخطيط لدولة يهودية على ارض فلسطين ، ثم القيام بهجرات جماعية إلى فلسطين ، ثم قيام عصاباتها بالقتل والإبادة للفلسطينيين ن ثم تكوين دولة على أرض فلسطين على أساس الاحتلال والنزعة التوسعية من خلال الحروب التي خاضتها مع العرب منذ قيامها إلى اليوم .

وإذا نظرنا إلى هذا الصراع يرى أن هذا الصراع لم يصنعه المسلمون ، ولا بدؤوهم بالعدوان ، وإنما بدأه اليهود وهم صُنّاعه ومنظروه والمدافعون عنه ، والمؤصلون له تأصيلاً دينياً بناء على أن فلسطين أرض الميعاد التي أعطى الله لنسل إبراهيم كما في سفر التكوين (8/15 ــ21) كما سبق .

ولو ناقشنا دعواهم لوجدناها أوهن من بيت العنكبوت حيث تقف أمام النقد والمناقشة ، وذلك لأن اليهود لم يكن لهم دولة ولا سيطرة على فلسطين منذ حوالي ألفي سنة ، ومن جانب آخر فإن نسل إبراهيم المباشرين من أولاده وأحفاده لم يملكوا ذراعاً من أرض فلسطين فيعقوب (إسرائيل) وأولاده عاشوا في مصر ، ثم إن نسل إبراهيم لا ينحصر في اليهود ، فإن لإبراهيم ابناً آخر وهو إسماعيل الذي هو أب العرب فلماذا يكون الوعد خاصاً بهم دون العرب ؟ [1].

ومن الناحية الدينية فغن الله تعالى أخرج ابن نوح من أهله لأنه عمل غير صالح فقال تعالى : (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)[2] ، ومن هنا فاليهود حينما ظلوا طريق أبيهم إبراهيم وفعلوا ما فعلوا خرجوا من أهله واستحقوا لعنة الله (فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم)[3] أي أبعدتهم عن رحمتي وخرجوا من كونهم أهلاً لإبراهيم ، وكذلك قال تعالى : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) [4].

فبنو إسرائيل بعدما حرقوا كتاب الله (التوراة) وساروا خاضعين لأهوائهم تاركين التعاليم الربانية لم يعودوا أهلاً لإبراهيم عليه السلام حسب النصوص الدينية التي تجعل الالتزام بشرع اله شرطاً لانتساب أحد إلى هؤلاء الأنبياء .

فالصراع الحالي بين اليهود والمسلمين ليس من صنع المسلمين ، ولا العرب ولا الفلسطينيين ، وإنما من صنع اليهود أنفسهم ومستمرون فيه ، يؤمنون به ويجعلون ذلك جزءاً من عقيدتهم وكتابيهم التوراة والتلمود ــ كما سبق ــ

والدفاع عن الحقوق حق مشروع مؤصل في جميع الأديان السماوية والقوانين الدولية ، وهذا الدفاع يسميه الإسلام بالجهاد الذي لا ينحصر معناه في القتال ، بل هو يعني به بذل كل الجهد المستطاع لتحقيق الغايات السامية ، من تحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى ، لذلك فهو يشمل الجهاد بالكلمة والفكر والمال وكل الوسائل المشروعة المتاحة ، وأما القتال فهو مشروع لردّ العدوان ولدرء الفتنة وبشرط أن يكون في سبيل الله ، لا في سبيل الدنيا ، ولا المال ، ولا السيطرة الجاه ، ولا لاستعمار الأرض ونحْوها ، دون اعتداء ولا تجاوز

(1) د. يوسف القرضاوي : حقيقة الصراع بيننا وبين اليهود ، مقالته في : فلسطين والدعوة الحق (ص14)
(2) سورة هود / الآية (46)
(3) سورة المائدة / الآية (13)
(4) سورة آل عمران / الآية (67 ــ 68)

عن الحدود والحقوق ، وإنما لغاية واحدة وهي (في سبيل الله) فقال تعالى : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل ....) [1].

الرحمة والإرهاب في الدين المسيحي :

تتسم الديانة المسيحية بالرحمة من خلال الأناجيل وتعاليم السيد المسيح عليه السلام فكانت خطبة المسيح على الجبل قمة في هذه المعاني المثالية ، حيث قال فيها : (طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع والعطشى إلى البر ، لأنهم لا يشبعون ، طوبى للرحماء ، لأنهم يرحمون ، طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون . قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تقتل ....؛ سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فادر له الآخر ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، سمعتم أنه قيل : أحب قريبك ، وابغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ...) [2].

وأولت الأناجيل والمواعظ بالرحمة والرأفة والشفقة والحنان كثيراً حيث تكررت هذه الكلمات كثيراً ، كما أنها تركزت على رحمة الله على المسيح بتجسده وفدائه (حسب عقيدة النصارى الحاليين وأنه تحمل عن الآخرين وفدى بنفسه عن ذنوبهم) ، يقول بولس الفغالي : (صور لنا يسوع ملامح الأب برحمته الإلهية فالخطاه الذين استبعدوا من الملكوت بسبب ضيق قلب الفريسيين صاروا أبنا رحمة الله .. فلوقا يستعمل في تشييد التعظيم (1 : 46 ــ 55) لفظة " الإيوس " لتدل على رحمة الله التي تجمع في إضمامة واحدة كل تأريخ الخلاص بقوة فائقة : (رحمته من جبل إلى جبل للذين يتقونه) (أ50) [3].

التطبيق العملي للرحمة أو العنف لدى النصارى :

على الرغم من أن هذه الكلمات الجميلة في الرحمة ، والمعاني الرائعة للرحمة ، والشفقة ، والتوجيهات والنصائح المثالية في الرحمة لكن الشعوب المسيحية لم تطبق هذه المعاني الموجودة في الأناجيل على الأمم الأخرى بل يبدوا أنهم أيضاً خصصوها بأنفسهم وهذا ما يشهد التأريخ على ذلك .

تعامل الشعوب النصرانية مع اليهود :

بدأ الصراع منذ أن ولد المسيح عيسى عليه السلام حيث جاء لإصلاح حال بني إسرائيل بعد أن فسدت أخلاقهم وخربت طبائعهم وخاضوا في الأموال وعبادتها بشكل مثير ، جاء في إنجيل متى الإصحاح 21 : (ودخل عيسى إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام ، وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلوات يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) فكفر اليهودية وحاربوه فقال الهم : كما في إنجيل متى الإصحاح 23 : (ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ... فأنتم تشهدون على انفسكم أنكم قتلة الأنبياء .... أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم .... يا أورشليم يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة

---

(5) سورة البقرة/ الآية (190)

(6) إنجيل من الإصحاح الخامس

(1) يراجع للتفصيل : بولس الفغالي : بحثه بعنوان " مفهوم الرحمة في العهد الجديد ، في الكتاب المشار إليه سابقاً (ص81)

المرسلين إليها كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا ، هوذا دينكم يترك لكم خراباً ...) وقال إنجيل متى الإصحاح 25 : (اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وجنده) .

وتآمر اليهود على عيسى وقرر كهنتهم قتله ، فأشاروا على الحاكم الروماني ، لكنه لم يقبل ، لمنهم هم قاموا بصلبه وقتله ، حسب زعمهم ، ولكن القرآن الكريم قال : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)[1] غير أنه أثبت بأن اليهود قاموا بذلك ، لكن الله تعالى نجى عيسى فرفعه إلى السماء .

ومن ذلك اليوم اشتدت العداوة بين اليهود والنصارى فحاول اليهود القضاء على النصارى من بكرة أبيهم وفي مهدهم حيث أقنعوا الامبراطور " مارك أوريل " بخطورة النصارى ، فأمر بقتل جميع النصارى في روما عام 155م ثم مرة أخرى في عام 214م حيث قتل اليهود مائة ألف مسيحي في رومه ، وقبرص ، وفي عهد الامبراطور ديوكليسن عدداً كبيراً من النصارى من ضمنهم البابوات كاييس ، ومرسلينوس[2] وقام اليهود بمحاولات متكررة للقضاء على المسيحية بالقوة والعنف ومن خلال تشويه المسيح وأمه مريم ورسالته وسمعته من جانب آخر مما أدى إلى النفف المضاد من قبل أتباعه النصارى .

ويعلن بولس حرباً على اليهود (أ9 ــ 10) فيصفهم بأنهم : (عاهرون ، عبدة الأوثان ، زناة ، متخنثون ، مضاجعوا الذكور ، سارقون ....) ثم يقول : (وهل اليهود أفضل من الوثنيين ؟ كلا فهم خاطئون مثلهم يسرقون ، يزنون ، يسلبون هياكل الأوثان (ررم 2 : 21 ــ 22) (زاغوا وفسدوا معاً ..؛ أرجلهم سريعة لسفك الدماء وفي مسالكهم الدمار والشقاء) (ررم 3 : 12 ــ 16) .

فبناءً على هذا العداء الديني التأريخي قام النصارى أيضاً بإقامة عدة مذابح جماعية وإبادية ضد اليهود ، في عهد الإمبراطور الروماني أوغسطس الذي نهب الهيكل وأحرق كتبهم ، كما أن الوالي الروماني في عهد القيصر (كلود) سيّر حملة لمطاردة اليهود في المدن والقرى وتكررت حملات الإبادة لليهود من قبل اليهود على أيدي الرومانيين ، ثم الأوربيين ، ففي بريطانيا أمر الملك إدوارد الأول بطرد اليهود من بريطانيا نهائياً في 21 يونيو 1290م [3]، وكانت بريطانيا قبل ذلك تعرضت لخراب اقتصادي مما دفع بالملك جون (يوحنا) لإصدار أمر بجمعهم ، قم قام الملك هنري الثالث بتعذيبهم وحبسهم وإجبارهم على دفع ثلث أموالهم المنقولة للدولة في عام 1230م ، كما قام إدوارد الأول بمحاكمتهم بسبب غشهم للعملة وسرقة ذهب الدولة وأعدم منهم 200 يهودي عام 1281م ثم طردهم كما سبق [4].

وفي فرنسا تعرض اليهود للذبح والقتل والحرق والتشريد والطرد من البلاد حيث طردهم لويس أغسطس أولاً ثم عادوا بعد عشرين سنة وفي عهد لويس التاسع ألغى ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة والكنائس وأفراد الشعب ، ثم اصدر أمراً ملكياً بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود ، ثم طردوا في عهد فيليب وأصابهم القتل والنهب ، ثم عادوا إلى البلاد ، وفي عام 1341م هاج الشعب في أواسط فرنسا وذبحوا من اليهود أعداداً كبيرة وطردوهم ، حيث لم يبق في فرنسا عام 1394 يهودي واحد [5].

---

(2) سورة النساء / الآية (157)

(3) انظر : الكتور ورهلنج الكنز : المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصر ، ط. مطبعة المعارف 1899م .

(1) يراجع لهذه التفاصيل : عبدالله التل : المرجع السابق (ص82 ــ 105) ومراجعه الأجنبية

(2) المصدر السابق

(3) عبدالله التل : المصدر السابق (ص114) ومصادره المعتمدة

ثم عاد اليهود بعد تشريدهم في اسبانيا ، ولكن لم يؤذن لهم بالسكنى في المدن إلاّ في أواسط القرن السادس عشر ، وفي الثورة الفرنسية 1790م استغلوا مياربو فدافع عن قهم في المساواة ، ثم حاول نابليون استغلالهم لمساعدته في تحقيق أطماعه التوسعية .

وفي ألمانيا انتشر اليهود في القرن الثامن الميلادي وسكنوا المدن ولكنهم اصطدموا بالشعب من خلال تصرفاتهم المالية والأخلاقية ، ثم انتهى الأمر إلى قتل بعضهم والفتك بهم وحرقهم على يدي هتلر النازي (هولدكوست) خلال فترة حكمه 1933 ــ 1945 .

وفي اسبانيا (الأندلس الإسلامية) لقى اليهود في ظل الدولة الإسلامية كل رعاية وحماية لحقوقهم ، بل وصل بعضهم إلى مناصب وزارية وإدارية ، وعلمية عالية ، ولكن الحملة الصليبية أدت إلى نفس المعاناة التي أصابت المسلمين ، حيث لم يكن هناك خيار إما القتل أو الحرق ، او الدخو لفي دين النصارى ، أو التشريد ، فوصلت موجة البطش باليهود إلى الأوج في عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا فصدر المرسوم التالي في 31 مارس 1492م : (يعيش في مملكتنا عدد غير قليل من اليهود ، ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتي عشرة سنة وهي تعمل دائماً على توقيع العقوبة على المذنبين ، وبناءً على التقارير التي رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت بأن الصدام الذي يقع بين المسيحين واليهود إلى ضرر عظيم ... ولذا قررنا نفي اليهود ذكوراً وإناثاً خارج مملكتنا إلى الأبد ... وعلى اليهود جميعاً ... أن يغادروا البلاد في غضون فترة أقصاها نهاية يوليو من نفس العام ... وأن ينقلوا معهم براً أو بحراً ما يملكون باستثناء الذهب والفضة والعملة الذهبية والأشياء التي يشملها قانون المنع العام) [1].

وهكذا طرد حوالي نصف مليون من اليهود من اسبانيا ، كما طرد المسلمون ، ولم يكن حالهم أحن من بقية الدول الأوربية ، ففي إيطاليا حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم بكفرهم وتسفيه ديانتهم ، وفي سنة 1242 أعلن البابا جريجوري التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود فشكل لجنة أقرت بحرق التلمود ، ثم طردوا عام 1540م [2].

فتح أبواب العالم الإسلامي عليهم :

وأما هذه المآسي التي لا نوافق عليها لأن الظلم ظلمات ، فتح العالم الإسلامي أرضه وذراعيه لاستقبال اليهود ، فقد فتحت السلطنة العثمانية حدودها لهم ، كما صدر فرمان من السلطان محمد بن عبدالله سلطان المقرب في 26 شعبان 128هـــ ـــ 5فبراير 1864م ونصه : (... نأمر من يقف على كتابنا هذا ... أن يعاملوا اليهود بسائر إيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام حتى لا يلحق أحد منهم مثقال ذرة من الظلم ، ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا احتضام ..؛ وألاّ يستعملوا أهل الحرف منهم إلاّ عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ... ومن ظلم أحداً منهم أو تعدى عليه فإنا نعاقبه بحول الله .....)

ولم يجد اليهود مكاناً آمناً مثل العالم الإسلامي (وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء) إلى أن جاء احتلال اليهود لفلسطين ، فأصبح الفلسطينيون أمام الدفاع عن أنفسهم وأراضيهم ، وهذا حق مشروع في كل الأديان والقوانين الدولية .

(4) عبدالله التل : المرجع السابق (ص118) ومصادره المعتمدة .

(5) يراجع للتفصيل : **History of the Jews,phildiehia,V. S. A1941**